بنية القبيلة والتغيرات التي طرأت عليها
بحث انثروبولوجي عن النظام القبلي في محافظة الانبار

الأستاذ المساعد الدكتور
عبد الواحد مشعل عبد
كلية الآداب - جامعة بغداد
قسم الاجتماع

بنية القبيلة والتغيرات التي طرأت عليها
بحث انثروبولوجي عن النظام القبلي في محافظة الانبار

المقدمة

تعد دراسة القبيلة *في العراق من الموضوعات المهمة في الحقبة الراهنة لما تنطوي عليه من مضامين اجتماعيه وسياسيه بلغة الأهمية، لا سيما بعد حضورها ، بصفتها قوة متنامية في الساحة الاجتماعية والسياسية العراقية بعد عام ٢٠٠٣. وينبغي التأكيد أيضا ان ذلك لم يأت من فراغ ، لان حضور القبيلة في حياة المجتمع العربي بشكل عام والمجتمع العراقي بشكل خاص، ليس جديداً، وقد تعود بعض أسبابه الى قوة هذا النظام القبلي في حياة العرب خلال التاريخ، كما يعود استمراره في عصر الصناعة والمعلوماتية ، الى عدم قدرة العرب في تاريخهم الحديث على تقديم انموذج حضاري على غرار الانموذج الغربي الصناعي الذي فكك البنى الثقافية التقليدية في المجتمع الأوربي بعد صراع اقتصادي و سياسي وثقافي محتدم أبان الثورة الصناعية في انكلترا والثورة الفكرية في فرنسا ،وبهذا المعنى ظل العرب يعيشون أوضاعهم التقليدية تحت سيطرة الامبرطورية العثمانية، على الرغم مما تلقوه من تأثيرات الحضارة الغربية المتنامية عن طريق بعض الاصلاحات، كاصلاحات محمد علي باشا في مصر، ومدحت باشا في العراق، او من خلال تأثير الحملات الاستعمارية على البلاد العربية، كحملة نابليون على مصر، فا نهم لم يبتكروا او

يقوموا بحدث تاريخي مفصلي، ينقلهم الى عصر الحداثة بإمكانيات ذاتيه متحفزة،وهكذا بقيت القبيلة تحظى بأهميتها المفصلية في المجتمع العربي ومنه المجتمع العراقي، ومع هذا فان المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الأولى شهدت دخول منتوجات الصناعة الأوربية المتنامية الى البلاد العربية، وعلى وجهه الخصوص خلال القرن العشرين، ففي العراق ومع بداية فترة الاحتلال الانكليزي في مطلع القرن العشرين، ثم خلال ولادة الدولة العراقية الحديثة عام ١٩٢١، أخذت تتداول في الساحة العراقية ، مفاهيم جديدة كالديمقراطية والوطنية والقومية وغيرها، بعد ان كانت الثقافة السائدة في العالم الإسلامي لفترة طويلة، تؤكد مقولة (ارض الإسلام للمسلمين). أن التحولات الجوهرية التي حصلت في بنية المجتمع العراقي منذ بداية القرن العشرين الى المرحلة الحالية، تؤشر بطريقة لا تقبل الجدل، ان المجتمع أصبح يتبني أيديولوجيات تحديثية متأثرة بالحداثة الغربية، لتدخل البلاد في حركة تصنيع و تحضر مناسبة او على اقل تقدير نقل التكنولوجيا الغربية الجاهزة الى المجتمع، وفي الاستخدامات المختلفة، بدأ العراق يشهد تطوراً اجتماعياً وثقافياً ، ولاسيما بعد تنفيذ برامج تنموية (بدءاً من مجلس الأعمار عام ١٩٥١ وانتهاءً بتوقفها عام ١٩٨٢ آبان الحرب العراقية الإيرانية)*، ومع هذا بقيت القبيلة تمثل حضوراً في الثقافة العراقية، يرتفع وينخفض تبعاً لقوة الدولة وضعفها، الا ان الحياة القبلية او العشائرية، لم تبق على شكلها ونمطها التقليدي، انما غيرتت كثيراً من أساليب حياتها الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص بعد ازدياد وتيرة اتصالها بالمدينة ، فلم تعد البنى التقليدية هي التي تحكم أسلوب حياة أبناء القبائل بعد انخراط أبنائها في التعليم والوظائف والسكن في المدن وتكيفهم معها . ثم بروز زعامات او رئاسات جديدة استمدت وجودها من دعم الدولة اولا، واستغلال بعض إفرادها، ضياع بعضهم من الأصول الأولى(تحت وطأة التغيرات وسرعتها) في اختيار رئاستها، حتى أصبح في أحيان كثيرة لكل ثلاث او اربع اسر شيخ . وبناء على ما تقدم سيدرس هذا البحث البنية القبلية في محافظة الانبار والتغيرات التي طرأت عليها، من خلال خمسة فصول. تناول الفصل الاول،الاطار النظري والمنهجي ،وتناول الفصل الثاني،النسق الأيكلوجي للنظام القبلي في محافظة الانبار ، ودرس الفصل الثالث، شبكة العشائر وبنيتها التقليدية ، وتطرق الفصل الرابع الى التغيرات التي طرأت على بنية القبيلة في المرحلة الحالية ، إما الفصل الخامس فتضمن مناقشة ختامية وملخصا لأهم النتائج والتوصيات.

الفصل الاول
الاطار النظري والمنهجي للبحث
المبحث الاول: الاطار النظري للبحث

اولا- الاطار العام للدراسة والمفاهيم الأساسية:

١ - الاطار العام للبحث:

أ- موضوع الدراسة :

يتمحور موضوع الدراسة على فهم بنية العشيرة التقليدية في محافظة الانبار والتغيرات التي طرأت عليها خلال عقدي ثمانينات وتسعينات القرن الماضي، ومن ثم برزت أهميتها بعدما أصبحت العشيرة تشكل ملاذا آمنا لأبنائها آبان الفوضى التي عمت البلاد وغياب سلطة الدولة بعد سنة ٢٠٠٣، الأمر الذي جعلها مرجعا اجتماعيا لابنائها للحفاظ على الارواح والممتلكات ، كذلك اخذت تلعب دورا سياسيا جديدا تعدى حدودها التقليدية (حياتها الاجتماعية الداخلية) الى مرحلة طموح اعلى حينما زحفت الى السلطة المحلية ومحاولتها السيطرة عليها، كما ان الكثير من رموزها الجديدة التي تعالت أصواتها بدعم من السلطة إبان حقبة التسعينات اخذت بالتنامي امام صمت كثير من زعمائها التقليديين، وقد أدى هذا الى طرح رؤى ومفاهيم جديدة يختلف الكثير منها عن سنن ونواميس العشائر التقليدية ، وقد شكل ذلك تحديا وتهديدا كبيرا للرئاسة العشائرية القديمة، ولتقاليد وعادات القبيلة حينما توسعت، وظهرت فيها بيوت جديدة اخذت تطالب بالاستقلال عن أفخاذها (بدناتها)، مشكلة في بعض الأحيان مجموعات قرابية او بيوتاً جديدة، بعيدا عن ولائها التقليدي لبدناتها او أفخاذها، وبرئاسات جديدة ، في حين بدأت بعض الأفخاذ او البدنات تتحول الى عشائر وبزعامات جديدة أيضا ، فضلا عن غياب كثير من الأحلاف التقليدية التي كانت سائدة في الماضي تحت مسمى رابطة (النخوة) *، كما كان الحال بين عشائر(البو فهد والحلابسة والبو علوان) ، وغيرها من التحالفات المماثلة التي اضحت اليوم غائبة تماما عن ثقافة الأجيال الجديدة.

ب- أهمية الدراسة

أولا / تأتي أهمية الدراسة نظرا لقلة الدراسات الانثروبولوجية والاجتماعية عن القبلية والتغيرات التي طرأت عليها في المجتمع العراقي في الوقت الحاضر، من اجل تقديم مادة وصفية عن المجتمع القبلي في منطقة الدراسة،لاسيما، مع غياب

دراسات انثروبولوجية سابقة عن الموضوع في محافظة الانبار، وهو هدف يتفق مع هدف عام تسعى إليه الانثروبولوجيا لتقديم معرفة نظرية عن النظم القبلية في المجتمع العراقي في المرحلة الحالية، ، وثانيا / لا يسعى البحث فقط الى تقديم مادة وصفية عن الظاهرة انما يسعى أيضا الى تحليل وتفسير البيانات الميدانية، بالرجوع الى الأطر النظرية للدراسة ومقولاتها الأساسية، لمعرفة طبيعة النظام القبلي في محافظة الانبار والتغيرات التي طرأت عليه . من اجل تقديم معرفة تطبيقية عن النظم القرابية والتغيرات التي طرأت عليها في المجتمع العراقي في المرحلة الحالية، ومحاولة كهذه لا تتوقف عند وصف ما حصل من تغيرات وأثار فقط ، انما يسعى الى معالجة وتحليل تلك التغيرات والآثار الناجمة عنها.

ج -أهداف الدراسة

١- معرفة بنية القبيلة التقليدية في محافظة الانبار ،والتغيرات التي طرأت عليها في المرحلة الحالية.

٢- فهم دورها في الضبط الاجتماعي والتغير الذي طرا على سلطة مشايخها اليوم.

٢ - المفاهيم الأساسية:

قبل التطرق الى مفهوم القبيلة والعشيرة والفخذ، لابد من التطرق، اولا الى مفهوم البيت والحمولة وبيان أوجه الاختلاف بينهما.

أ- البيت (الاسرة) :

يعد البيت أصل القبيلة، ومازال هذا المصطلح متداولاً حتى الوقت الحاضر في مناطق العراق المختلفة، فنجده على سبيل المثال في إنحاء العمارة وآل الكوت والمنتفك وغيرها فيقال بيت جنديل وبيت عبد العال، وهو يجمع الاسرة من حيث التسمية يكون من الشعر او من غيره من سائر الخيام كالصرائف والأكواخ كما ان هذا المصطلح يطلق على البيوت المبنية من مواد البناء المعروفة ويراد به في الأكثر الغرفة واصله من البيت المعروف في البادية، كما انه يتألف من عنصرين أساسيين الزوج والزوجة و ما يتولد عنهما من علاقات التكاتف على المعيشة وغيرها، ولا يسع هذا البيت أكثر من هؤلاء فان تزوج من الأبناء كون بيتا جديدا. والبيت الجديد لا يستقل عنه بكل وجه، انما يحافظ البيت الاول على سلطته ومعونته، لما يولد من منظومة قيم تشكل الاحترام الناجم لمن درج منهم وتحول عليه في غيره، واستقلاله قد يكون وراء ارتباط البيت الجديد بالقيم تحركه عوامل عدة فيها القرابة، فضلا عن الإخطار التي تهدد البيت الجديد من كل صوب وتنتابه

الآلام من كل صوب، وبهذا فهو يريد ان يعيش ويتكاتف مع البيت الأصيل(الاول) فهو يتعصب إليه ويتكاتف معه في كل ظرف، وعلى هذا الأساس كلما زاد عدد إفراد البيت وتكاثروا كونوا بيوتا جديدة منهم على الشروط والبيوت المتفرعة منها ما يحافظ على أسس البيت الاول والباقون مستقلون بأسمائهم الا ان ما يهم الاول والثاني أعظم ما يهم الثالث والرابع بالتوالي في الاشتقاق والقرب والبعد، ومن هنا يمكن ان يفهم درجة التكاتف وقوته نظرا لقوة القرابة ودرجتها وهذا صار أساسا مهما في الإرث الإسلامي، والتضامن في الغالب يكون على خمسة (بطون أو اظهر) فان تجاوز الخمسة فما يهم الواحد أمر الأخر وإنما المهم حينئذ ما يخص الكل ويتعلق بالمجتمع فيقل كيان العشيرة او القبيلة الكبيرة فان التعاطف عندئذ يظهر الى الوجود ولاسيما تجاه الخطر الخارجي، وحيث البيت الاول نشأت الرياسة على بيوت عدة الى ان شملت الفخذ او العشيرة او القبيلة وهكذا الإمارة[١]

ب- الحمولة:

ينبغي التأكيد بان البيت او الفخذ جزء لا يتجزأ من البنية القبلية الهرمية التي بها يفهم البناء الهيكلي للقبيلة بينما الحمولة ظاهرة ذات دلالة قيمية مميزة في العشيرة جاءت تسميتها من قدرة تلك الاسرة من التحمل في الظروف المختلفة، فهي تتحمل الضيوف في كل الأوقات والظروف إذ تبقى أبوابها مشرعة لهم ليلا ونهارا، كما أنها تتحمل كل المشكلات والمصائب من دون شكوى فهي تلم آلامها في بطنها وتتميز بالصبر والجلد والحكمة كما ان لها ميلاً شديداً لعمل الكثير من دون مقابل وتتصف بالأخلاق الكريمة والقيم الرفيعة فضلا عن كونها لا يصدر من أعضائها عمل شائن مهما كانت الظروف، لذا فان العرب دائما توصي أبنائها الزواج من بنات الحمولة، التي ستقف الواحدة منها مع زوجها في السراء والضراء وتحفظه في ماله وعرضه إثناء حضوره وغيابه كما أنها تتحمل كل الظروف القاسية ولا تشكو لأحد، وبهذا فان الحمولة غير البيت فالبيت جزء من التنظيم العشائري والحمولة أسرة توجد في العشيرة لها صفات مميزة كما مرة ذكره.وفي هذا الاطار يقدم الدكتور مصطفى شاكر سليم تعريفا للحمولة له دلالات اجتماعية ويربطها بالأفخاذ من حيث التنظيم ، فيذكر عن الحمولة(تتحد عدة أفخاذ لتكون حمولة واحدة، وهي مجموعة من الأشخاص يقوم التماسك بين إفرادها على اساس ادعاء نسب واحد. ويمكن ام تعتبر الحمولة كفخذ كبير(Maximal lineage) تكون الأفخاذ التي وصفتها سابقا أجزاء كبيرة فيه. ولكنني إميل الى تسميتها حمايل (Clans) عوضا عن أفخاذ لان اواشج القربى بين المجموعات التي تتكون منها(ما أسميناها أفخاذا)،

إما غير معروفة او ان كانت معروفة فغير قوية ولا تعار أهمية. والحمولة مجموعة إقليمية (Territorial group)، تتراوح في حجمها من (١٥٥) الى (٤٥٠٠) شخص.) (٢)

ج- الفخذ:

يشير الاستاذ عباس العزاوي في كتابه عشائر العراق الجزء الاول الى الفخذ* الذي يقال عنه (البديدة) وجمعها (بدايد) والفندة وجمعها (فند) وكذلك يقال له (بيت) والفخذ في الاصل عدة بيوت من جد قريب لا يكاد يتجاوز الجد الخامس وهو تابع لكثرة الاعداد، وتكون الرياسة لمن يتميز بمكانة عالية بين قومه ويحصل على مقدرة شخصية ومواهب حتى يكون رأس البيت او فخذ جديد، ويظهر التكاتف والتلازم بين أسره قويا جدا فالمسؤولية الشخصية للواحد على الآخر متجلية في هذا كما ان التكافؤ في الحقوق ظاهر وكذلك التكاتف ومن ثم تتضاءل الرابطة حينما تعلو وتقل وحينئذ يكون التكاتف في المصلحة العامة الاحوال التي تخص القبيلة او العشيرة .. وعلى أية حال فان الفخذ في تضامن وتكاتف وفق ترتيب معهود لديهم وبشكل منظم معروف وركنه الركنين الاحتفاظ بحياة الجماعة، والتكاتف للشر غير مقصود، وهو ضمان الجماعة ودعامة بقائها ورأس صلاحها(٣) وعلى هذا الأساس فان الفخذ احد مكونات العشيرة والتي هي في الاصل تتكون من أفخاذ عدة، كما ان القبيلة نفسها تتكون من عشائر عدة وهكذا.

د - العشيرة:

تتكون العشيرة من أفخاذ وبيوت عدة، ويرأس كل فخذ رئيس يتميز بين أعضائه بالحكمة والذكاء والمقدرة على القيادة، وتكون الرئاسة في تلك العائلة وتبقى معروفة في تاريخ الفخذ، ويشير الاستاذ عباس العزاوي في سياق حديثه عن العشيرة، ان الفخذ الواحد قد يتفرع الى أفخاذ عدة ورغبة أبنائها على تقادم العهد في بناء البيت فيتكاثر ويتشعبون بتزايد بيوتهم (إعدادهم) وحينئذ يتسمى ما كان قد تسمى بالفخذ او البيت (بالعشيرة) وهذه قد يتساهل في تسميتها فيقال لها (قبيلة) ولكن المعروف أكثر هو ما قدمنا وقد يقال الفريق اذا كان جزءاً من القبيلة وغير منفك عنها وهؤلاء متكافئون في الحقوق ومتساوون وتجمعهم صلة القرابة او ما يدعى (بالعمة او العمومة) وهناك يقال للفريق (جمعا) حين يبلغ إلف بيت باصطلاح عنزة وشمر في غالب الأحيان، وإلا فعند عشائرنا يقال لجملة بيوت تسكن في

موطن فريقا[٤] والعشيرة في محافظة الانبار هي تلك العشيرة التي تضم أفخاذ عدة يرأس كل واحد منها شيخ ويرأس العشيرة جميعا رئيس عمومي هو شيخ العشيرة .

ه- القبيلة:

رتب العرب طبقات الأنساب على بنية جسم الانسان رمزا الى ان تماسك القبيلة يشبه تماسك أعضاء جسم الانسان، فجعل الفخذ، تلو البطن لان الفخذ من الانسان بعد البطن وجعلوا الفصيلة تلي الفخذ لان النسب الأدنى الذي يفصل الرجل بمنزلة الساق والقدم اذ المراد بالفصيلة افراد العشيرة الأدنون بدليل قوله تعالى (وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ)* أي تضمه اليها ولا يضم الرجل الى اقرب عشيرته، هذا ما كانت عليه طبقات الأنساب والقرابة العاصبة تقريبا إما العشائر العراقية والعشائر القريبة منها فلها تقسيماتها التي تختلف قليلا[٥] عن ذلك، ويشير الاستاذ عباس العزاوي الى ان الجماعة العربية تتألف من عدة عشائر بل تكتسب ضخامة وسعة في تكوينها، وحينئذ يقال لها (القبيلة) وقد يتساهل في التعبير حيث تسمى العشيرة باسم القبيلة، وهذه لا تفرق عن العشيرة الا في الرياسة العامة بان يكون رؤساء العشائر منقادين الى رئيس القبيلة وقد يصح التعبير اذ قلنا ان القبيلة عشيرة موسعة وبالغة حدا كبيرا من التفرع والتشعب، فهي تختلف في حكمها عن العشيرة وحينئذ تكون الكلمة واحدة وان كانت كل عشيرة تدار داخليا من قبل رئيسها، فالرؤساء هنا بمنزلة رؤساء الأفخاذ في العشيرة. وهذه لا تكون المسؤولية العامة فيها الا في المطالب العظمى والحالات الكبيرة فهم مناصرون فيما بينهم[٦] وفي هذا المجال ينبغي الإشارة الى مفهوم القبيلة أنثروبولوجيا بصفتها كيانا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا قائما بذاته وقادرا على الدفاع عن نفسه وتحقيق الانتفاع الذاتي اقتصاديا كما أنها تتميز بملكية جماعية وسلطة سياسية يديرها شيخ القبيلة ومجلسها اذ يكون شيخ العشيرة مندمجا مع الجماعة وجزءاً منها، فهو المختار من قبلهم بنسبه وحكمته وكرمه وشجاعته الا ان هذا المفهوم لم يعد ينطبق كثيرا على النظم القبلية المعاصرة اذ تحولت الكثير من القبائل المرتحلة الى قبائل زراعية مستقرة وما رافق ذلك من تحول في شكل السلطة والملكية وظهور نوع من التمايز الاجتماعي فضلا عن ظهور الديكتاتورية حيث أصبح شيخ العشيرة يمتلك أراضي واسعة كما يتميز أيضا في كثير من الأحيان بعلاقات وثيقة مع السلطة لتحقيق مصالحهم وضمان ولاء القبيلة للدولة والقبيلة في محافظة الانبار هي مجموعة عشائر ولكل عشيرة شيخ خاص بها وهناك رئيس مشايخ العشائر او رئيس القبيلة، وبهذا فان القبيلة هي النظام الذي يجمع مجموعة من العشائر وكل عشيرة تضم مجموعة من الأفخاذ ولكل فخذ يضم مجموعة من الأسر او البيوت والأخيرة تضم مجموعة من العوائل.

ثانياً- الأطر النظرية للبحث:

١- بعض الرؤى الانثروبولوجية العامة:

يتم في هذا المكان التعرض لبعض الآراء المتصلة بالموضوع لعل ابرزها ما يتصل بنظام القرابة، هذا النظام الذي يتكون من روابط الدم (Consanguinity) وروابط المصاهرة (Afinity) والمقصود بروابط الدم هي العلاقات التي تنتج عن الزواج وعن الانحدار سواء كان ذلك الانحدار منسوبا لاحد الابويين او اليهما معاً، ففيما يتصل بالانتساب الى احد الابوين قد يكون في خط الذكور، ما يعطينا روابط القرابة العاصبة والاقارب العاصبيين الذين ترد انسابهم في خط الذكور (Patrilneal Descent) كما هو الحال بالنسبة للعشائر في المجتمع العراقي وقد يكون الانتساب في خط الإناث (Matrilineal Descent) وذلك في المجتمعات الامومية كما هو الحال في عدد من قبائل غرب إفريقيا وكذلك في قبائل البابمبا شمال روديسيا وفي جزر تروبرياند التي درسها مالينوفيسكي(٧). كما يقول ريموند فيرث في هذا الصدد ان مبدأ القرابة هو الذي يقرر انحدار الحياة فحين يولد الاطفال لابد من ان يندمجوا في الجماعة على اساس مبدأ معين وحين يموت المرء لابد ان تنتقل ممتلكاته لغيره من إفراد الجماعة، تبعا لقواعد مرسومة وتسمى الطريقة التي يحصل بها الشخص على عضويته باسم النسب او الانحدار كما تسمى الطريقة التي يحصل بها على المرتبة والامتيازات بالخلافة والطريقة التي يحصل على المرء عن ذلك تسمى بالوراثة التي بها تتم الأشياء سواء كانت مادية ام غير مادية كعضوية جماعة او الرئاسة او الملكية في خط الذكور او في خط الإناث او في كليهما والقرابة كما يحددها (فيرث) هي روابط الدم او الزواج وبشيء أكثر من التحديد هي نسق الروابط الاجتماعية القائمة على الاعتراف بالعلاقات الجينالوجية أي العلاقات الناتجة بالارتباط الجنسي او إنجاب الاطفال وتظهر أهمية القرابة خلال دراسات الانثروبولوجين الأوائل، إذ كان أصحاب النظرية التطورية الانثروبولوجية الكلاسيكية أمثال لويس مورجان و باخوفن و هنري مين ومكلينان وغيرهم قد صاغوا نظرياتهم الانثروبولوجية بشأن نظم العائلة والقرابة على وفق نظام تطوري ارتقائي متأثرين بنظرية داروين في التطور في القرن التاسع عشر، وقد توصل كل منهم الى نتائج علمية بهذا الشأن، فكان لويس مورجان يرى ان البشرية مرت بثلاثة حقب رئيسة هي الوحشية والبربرية والحضارة وان الانسان خلالها انتقل في حياته التقنية والتنظيمية من الإشكال البسيطة الى الإشكال المعقدة

في حين توصل باخوفن الى نتيجة مفادها ان نظام الانتساب الاول في الاسرة الإنسانية يعود الى الام بينما توصل هنري مين الى نتيجة عكسية بإرجاع النسب الى الاب في حين توصل مكلينان الى ان الزواج الخارجي هو الشكل السائد آنذاك حينما كان الزواج الداخلي في القبيلة محرما وقد تعرض هذا الاتجاه الى انتقادات حادة من قبل الاتجاه البنائي الوظيفي في القرن العشرين على اعتبار ان النظرية تلك تفتقر الى أدلة يقينية في إثبات فرضياتها وإنها اعتمدت على معلومات منقولة من قبل اشخاص غير متخصصين كما أنها اعتمدت على التخمين[٨] ومع هذا يرجع الفضل الى لويس مورجان في إدخال الدراسة المقارنة في ميدان الانثروبولوجيا[٩]، كما حصل تطور في الرؤى الانثروبولوجية خلال القرن العشرين في ميدان تفسير القرابة في المجتمع الإنساني حينما اعتمد الانثروبولوجيون مع بداية ذلك القرن على الاتجاه النفسي في تفسير ذلك حتى ظهرت النظرية البنائية الوظيفية على يد رادكلف براون في انكلترا ومع تطور الدراسات الميدانية على يد مالنوفسكي وايفا نز رتشارد وغيرهم، والتي قامت على وجود بناء اجتماعي يتكون من أجزاء لكل منها دور ووظيفة كما ان لكل مجتمع ظروفه الثقافية والبيئية في تكوين الأنساق الاجتماعية فيه، كما ظهرت أيضا نظرية العالم الفرنسي ليفي شتراوس بعد منتصف القرن العشرين في كتابه (الأبنية الاولية للقرابة) موضحا أهمية الأبنية الاولية والتي يقصد بها تلك الأنساق التي بوساطتها يمكن تحديد نطاق الاقارب والأصهار وهو ما يتعلق بما يعرف بالوقت الحاضر بالزواج المفضل، اذ رأى في كتابه المذكور بشكل عام تبيان القواعد الخاصة للزواج ومصطلحات القرابة ونسق الالتزامات والتحريمات بصفتها مظاهر لحقيقة واحدة او كيان واحد، وهذا الكيان الواحد هو النسق الذي يقوم الباحث بدراسته، وتظهر الأبنية في نظام الزواج او تفضيل تزويج اشخاص معينين يرتبطون بروابط الدم، كما هو الحال في زواج أبناء العمومة او الخوؤلة المتعاقبة. اما الزواج الذي يتم بين اشخاص لا تربطهم روابط دم فيكون بدوافع اجتماعية وسياسية واقتصادية ويطلق على هذا النوع بالانسقة المعقدة للقرابة، ويعطي ليفي شتراوس معظم اهتمامه للنوع الاول من الأنساق وحاول ان يسترشد في دراسته التي شملت عددا كبيرا جدا من الأنساق في مجتمعات ذات مستويات مختلفة بنظرية التبادل والهدايا الملزمة (لمارسيل موسى)، كما يعد كتاب ليفي شتراوس المذكور أعلاه أهم كتاب في نظرية القرابة بعد كتاب لويس مروجان في هذا المجال، وينبغي التأكيد هنا ان موضوع القرابة لا يزال يفتقر الى نظرية عامة على الرغم من قيام كثير من

الانثروبولوجيين في صياغة نظريات كثيرة اتجاهه، اذ ان هذه النظريات نظريات جزئية تصدق على أنماط معينة من نسق القرابة[١٠] .

٢- لمحة عن النظام القرابي في المجتمع العربي:

إما عن طبيعة النظم القرابية في المجتمع العربي التي لا تزال فعالة في الحياة العربية إذ ان العرب ينقسمون الى عرب الجنوب وهم القحطانيون ومجالهم الجغرافي اليمن وعرب الشمال وهم العدنانيون ومجالهم الجغرافي شمال الجزيرة العربية و تؤكد حقائق التاريخ ان عرب الجنوب كانوا أوسع حضارة وتركوا آثاراً عن حياتهم الاجتماعية بخلاف عرب الشمال الذين لم يتركوا شيئاً مكتوبا لا في بدوانهم او حضرهم[١١] . وفيما يتصل بطبيعة البنية القرابية ، فيعد ابن خلدون من أوائل المفكرين الاجتماعيين الذي تكلموا على التضامن والتعاون الاجتماعي المبني على البنية القرابية المستمدة من وحدة النسب ،ويرى ابن خلدون ان النزعة القرابية فطرية عن بني البشر ، وهو يرى ان البناء القرابي يقوم على مصدرين أساسيين ، أولهما الفطرة الطبيعية وثانيها الحاجات الأيكلوجية والاجتماعية التي تغذي شعور الفرد بارتمائه لعشيرته التي تضمن إشباع هذه الحاجات وبهذا المعنى فان ابن خلدون سبق وجهة النظر الانثروبولوجية في العصر الحديث، وهي الأنساب التي تؤدي للإفراد وظيفة الالتحام التي توجب صلة الأرحام. ويرى ان النسب خارج هذه الوظيفة أمر وهمي لا حقيقة له. ويعني ذلك ان القبائل الكبيرة تتفرع الى فروع وأقسام كثيرة أي اتساع نطاق القرابة ، بعد مرور فترات طويلة من الزمن ما يؤدي الى ضياع النسب ونسيان الناس لأنسابهم بسبب ضعف الذاكرة وغياب التوثيق ، ما يجعل تأثير النسب ضعيفاً وهذا يفسر اعتبار النسب في المجتمعات البسيطة سواء القبلية ام البدائية، عاملاً اجتماعياً يدعم التعاون الاجتماعي بين إفراد القبيلة ،ويحصر ولائهم داخل النسب ما يجعل علاقة أبنائها ضيقة لا تتعدى تلك الدائرة ، وبهذا تصبح الجماعات القرابية مغلقة في ولائها وانتمائها (١٢) . وعلية فان ابن خلدون يرى انه لكي ينهض النظام السياسي بوظائفه في إدارة شؤون المجتمع ، سواء في النمط البدوي ام النمط الحضري، ينبغي وجود رابطة اجتماعية قوية ، تحمي أركان النظام ، واقوي صور هذه الروابط ، هي رابطة الدم والقربى التي تنشا بين الناس ، فصلة الرحم طبيعية في البشر، وهي المسؤولة عن التعاون والتآزر ، ولهذا قام نظام الدولة على فكرة العصبية ، التي

تتولد من القرابة وتستند الى النسب (١٣). كذلك يؤكد ابن خلدون ان التغير في النسق الاقتصادي يمكن ان تتبعه تغيرات بنيوية في أحوال الناس الاجتماعية والثقافية،فتغير المهنة يساعد على تغير نمط الحياة الاجتماعية للناس،فمهنة الرعي تتطلب نمط حياة متنقل في اغلب الأحيان يتمثل في الإنتاج الزراعي وتحقيق فائض الانتاج مع تغير في شكل الملكية ما يغير من حياة الناس الاجتماعية، وهكذا اذا انتقل الانسان الى التجارة والمهن الحرفية وغيرها فانه يساعد على التغير في نط حياتهم الثقافية والاجتماعية ، وتغيرها الى مهنة الزراعة يفرض ذلك نمطاً أخر مختلفاً ، اذ يقول ابن خلدون(اعلم ان اختلاف الأجيال في أحوالهم ، انما هو باختلاف نحلهم من المعاش ، فان اجتماعهم ، انما هو للتعاون في تحصيل حاجاتهم) (١٤)

إما ما يتصل بطبيعة الصراع بين البداوة والحضارة فقد إشارة الدكتورعلي الوردي في كتابه (دراسة في المجتمع العراقي) خلال التاريخ القديم والحديث، وفي هذا الصدد يؤكد الباحث السعودي في جامعة الملك سعود الدكتور سعد الصويان، وجود الصراع بين الحواضر العراقية والقبائل القادمة من الصحراء وان هذا الصراع لم يقتصر على التاريخ القديم انما استمر الى حقب لاحقة وكان يظهر حينما تمر الجزيرة العربية بدورات من الخصب ومن الجفاف وفي اعوام الخصب يتكاثر الناس ويحدث ما يشبه الانفجار السكاني ويتبع ذلك سنون عجاف يهلك فيها الحرث والضرع فتلفظ الجزيرة سكانها على شكل موجات متتابعة من الغزوات او الهجرات التي تندفع من قلب الجزيرة العربية باتجاه الهلال الخصيب[١٥] اما عن حجم المجتمع القبلي في العراق في العهد العثماني وحسب ما اشار الدكتور علي الوردي نقلا عن بحث نشره الدكتور محمد سلمان حسن في معهد الاحصاء في جامعة اكسفورد في احدى نشراته ان عدد سكان العراق كان في عام ١٨٦٧م لا تتجاوز المليون والربع الا قليلا اما نسبة تلك القبائل فقد بلغت (٧٦%) من مجموع السكان أي ثلاثة ارباع سكان البلاد تقريبا، اذ كانت نسبة القبائل البدوية ٣٥% من مجموع السكان ونسبة القبائل الريفية ٤١% في حين كانت نسبة المدن ٢٤% من مجموع السكان وهذا يدل دلالة واضحة على مبلغ ما كان المجتمع العراقي عليه من مد بدوي وجزر حضري[١٦]اما عن وضع النظام القبلي في العراق خلال القرن العشرين فتشير الاحصائيات القليلة الى ان نمو سكان الحضر فيه ظل بطيئا حتى عام ١٩٤٧، اذ كان هناك شخص

واحد من الحضر يقابل ثلاثة اشخاص من الريف، الا ان الحال تطور حتى اصبح في عام ١٩٨٧ سبعة اشخاص من الحضر مقابل ثلاثة اشخاص من سكان الريف(١٧).

-التوجه النظري للبحث:

اولا- مصادرالاطار النظري:

المصدر الاول :كتابات علماء الانثروبولوجيا عن القرابة في المجتمع البشري والتطورات التي طرأت عليها، العائلة والقرابة ، وتطورها تقنيتها وتنظيمها الاجتماعي والسياسي، والاستفادة من ما ذهبت إليه النظرية البنائية الوظيفية (بصفتها توجهاً نظرياً للبحث) في فهم البناء الاجتماعي وأنساقه المختلفة وما يطرأ على نسق فيه يحدث تغيرا في البناء كله وبالتالي قدرة هذا البناء من إعادة استقراره بعد سلسة من العمليات تبدأ باستيعاب تلك التغيرات ومن ثم تحقيقه لتوازنه وصولا الى استقراره من خلال ما يمتلك من ميكازيمات تعمل على ذلك. كما يتم الافادة من إسهام المحدثين في الاتجاه الوظيفي خلال النصف الاول من القرن العشرين، ولاسيما تالكوت بارسونز وميرتون وغيرها، فضلا عن الافادة من الاتجاهات الحديثة في الاتجاه.ولاسيما البنيوية الفرنسية على يد ليفي شتراوس. فالقبيلة في محافظة الانبار حصل تغير في نسقها السياسي والاقتصادي أدى الى إحداث تغيرات جوهرية في بنيتها التقليدية وهي في مرحلة إعادة توازن بعد سلسلة من الهزات ابان مدة التنمية والتحضر وبعد خروجها من صراعات دامية في بيئتها مع القوات الأمريكية وكذلك مع الأطراف الدينية المتطرفة. وهي في طريق الاستقرار بتنظيمها الاجتماعي والثقافي الراهن.

المصدر الثاني: الكتابات عن النظم القبلية في المجتمع العربي الإسلامي وعلى رأسها ابن خلدون ، لفهم طبيعة النظام القرابي في المجتمع العربي الذي تداخل في حياة الانسان العربي خلال التاريخ ، وما يقابل القبلية من نظام الدولة وظهور النظم الحضرية، فضلا عن الاعتماد على رؤى الدكتور علي الوردي في دراسة طبيعة المجتمع العراقي وتأثير النظام القبلي فيه.

ثانيا- مقولات البحث:
المقولة الاولى: (البنية القبلية التقليدية في محافظة الانبار هي امتداد للقبيلة البدوية).
المقولة الثانية: (أدى استقرار القبيلة على ضفاف أعالي الفرات في محافظة الانبار واشتغالها بالزراعة الى تغير نمط حياتها البدوي وظهور العشائر الزراعية).
المقولة الثالثة: (أدت حركة التنمية والتصنيع والتحضر الى هجرة أبناء العشائر الى المدن).
ما اضعف سلطة شيخ العشيرة، وتغير نمط معيشة أبنائها من خلال عملهم بصفة موظفين في الدولة العراقية.

المقولة الرابعة: (أدت قوة القانون والدولة الى ضعف القبيلة ونفوذها).
حدثت تغيرات جوهرية في بنية القبيلة، فضلا عن غياب المعرفة بأصولها وأعرافها عند كثير من أبنائها تحت ظروف التحضر وغياب الحاجة اليها عندما تكون الدولة قوية. ويحصل العكس اذا ضعفت الدولة ، اذ يقوى حضورها، وتصبح ملجأ آمناً لأبنائها في أوقات الأزمات، كما حصل إبان الفوضى بعد ٢٠٠٣.

المقولة الخامسة: (أدى ضعف الدولة إبان التسعينيات من القرن العشرين الى إعادة العمل بنظام العشائر).
ما أتاح لعدد كبير من الأشخاص ليكونوا شيوخا جدد بحسب تصنيف حكومي بهذا الخصوص ، متجاهلاً بعض معايير الاختيار الوراثي للمشيخة.

المقولة السادسة: (أدى تغير تنظيم القبيلة الاجتماعي الى انقسام عشائرها الى عشائر متولدة أخرى).
أصبح داخل الفخذ او البدنة الواحدة أكثر من شيخ، هم في اغلب الأحيان متصارعون فيما بينهم طمعا بالمال والمكانة والقرب من الدولة.كما انقسمت المجموعة القرابية سواء العائلة الكبيرة ام الفخذ على نفسها.وبدأت تتسلخ عن عشائرها مكونة نواة عشائر جديدة.

المبحث الثاني: الإجراءات المنهجية

تعد الإجراءات المنهجية من الخطوات الأساسية التي يتم بها دراسة الظاهرة ، بطريقة منظمة ومتسقة، بغية التوصل الى نتائج علمية وموضوعية، وقد تمثلت منهجية البحث الحالي بما يأتي:

١- منهج البحث

لقد تم توظيف المنهج الوصفي والمنهج البنائي الوظيفي في دراسة بنية القبيلة ودورها السياسي في محافظة الانبار في الوقت الحاضر، وطالما ان الظاهرة القبلية هي ظاهرة متجذرة في الثقافة العراقية فان فهمها يتطلب دراسة النسق الايكولوجي الذي تتحرك فيه لما له من علاقة وثيقة بالبنية القبلية وطبائعها الاجتماعية كما تم خلال الدراسة الاستعانة بالمنهج التاريخي لمعرفة البنية القبلية التقليدية في المنطقة فضلا عن العلاقة بدورها السياسي.

٢- مجالات الدراسة

أ. المجال البشري: تحدد المجال البشري في مكان تواجد العشائر ريفا وحضرا في محافظة الانبار ودراسة بعضها على وفق الطريقة الانثروبولوجية. (بعض عشائر الفلوجة والرمادي)

ب. المجال الجغرافي: تم تحديد محافظة الانبار ولاسيما المناطق التي تمثل كثافة سكانية تتواجد فيها هذه العشائر ولاسيما في قضاء الفلوجة ومدينة الرمادي وبعض الأطراف الأخرى مجالا جغرافيا.

ج- المجال الزماني: يعرف المجال الزماني بانه السقف الزمني الذي تجري فيه تنفيذ إجراءات العمل المبدئي وقد تم ذلك منذ بداية شهر كانون الثاني ٢٠٠٩ الى منتصف شهر تموز(يوليو) ٢٠٠٩.

٣- أدوات البحث:

أ- الملاحظة بالمشاركة:

وهي الطريقة الانثروبولوجية التي تم الاستعانة بها خلال فترة الإقامة في منطقة الدراسة والتحرك في نطاقها وجمع معلومات كثيرة ثم تصنيفها وترتيبها ومن ثم عرضها بطريقة منهجية.

ب- المقابلة:

تم الاعتماد على المقابلة خلال خطوات الدراسة ولاسيما مع بعض الأخبارين ذوي الخبرة الطويلة في الشؤون العشائرية وقد اجريت عشرات المقابلات خلال فترة البحث.

الفصل الثاني
النسق الأيكلوجي للنظام القبلي في محافظة الانبار

يتم التطرق لايكولوجية القبيلة في محافظة الانبار بهدف فهم العلاقة المتفاعلة بين البيئة الطبيعية والإنسان ومحاولة كهذه ستعطينا فكرة واضحة عن طبيعة حياة الانسان القبلي وتفاعلاته مع أنماط البيئة الصحراوية والزراعية والحضرية.

المبحث الاول: الخصائص الايكولوجية

١- البيئة والعشيرة

لاشك ان العلاقة بين الانسان والبيئة علاقة تفاعلية خلال التاريخ فمن خلال هذا الفهم فان العامل الجغرافي الطبيعي يؤثر على شكل ومضمون طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل نظام العشيرة سواء كانت هذه العشيرة تعيش بالرعي ام بالزراعة، فان كيانها الاقتصادي معتمد أساسا على خصب التربة وتوفر العشب والماء، فإذا وجدت عشيرة ارض قاحلة او قليلة الخصب، ففي مثل هذا الوضع ستأخذ من الرعي الوسيلة الاولى لكسب عيشها، فأنها تضطر الى التنقل من مكان الى آخر طلبا للماء والكلأ ما يجعلها تصطدم مع عشائر أخرى صاحبة الأرض الخصبة والنتيجة هو الصراع المسلح أي الصراع من اجل البقاء(١٨) لذا فان هذه البيئة القاسية تنتج قبيلة او عشيرة مقاتلة وتتميز بنظام اجتماعي داخلي متماسك تظهر فيه سلطة الشيخ واضحة وصارمة ومتفاعلة مع أبناء العشيرة فالكلُ في مركب واحد نراهم متكاتفين ومتضامنين في السراء والضراء، وهذا ما يظهر على نظام العشيرة في محافظة الانبار التي تعيش في الصحراء او حافات الصحراء، وعليه فان دراسة البيئة الطبيعية والتعرف على مكوناتها من تربة ومصادر مياه ومساكن مناخ ضرورة تقتضيها الدراسة الوظيفية المتكاملة ليس في حد ذاتها بل لأنها تؤثر في تشكيل الحياة الاجتماعية وقد رأى عالم الانثروبولوجيا البريطاني(ايفا نز برتشارد) ضرورة فهم العلاقات المتبادلة بين البيئة والطبيعة ومظاهرها والحياة الاجتماعية والتحركات السكانية في دراسته لمجتمع النوير في جنوب السودان، وهم شعب من رعاة الماشية شبه الرحل يعيشون في إقليم تغطيه حشائش السافانا والمستنقعات، وبهذا المعنى فانه يرى

مجتمع النوير يتحرك من اجل الحصول على الغذاء من اجل البقاء، وفي هذا الحال تلعب الظروف الطبيعية القاسية دورها المؤثر في هذا التحرك، والظروف البيئية هنا تتمثل في دورة سقوط الإمطار سنويا، وعليه فان الفيضانات الحاصلة تجعلهم ينتقلون الى المناطق المرتفعة وتدفعهم في أوقات الجفاف السنوية الى السعي وراء موارد المياه اذ تظل راكدة في البرك والبحيرات الأخذة بالقلة[١٩] كما ان الظروف الطبيعية تلقي بتأثيراتها على القبائل في الصحراء التي تعيش بعيدا عن أي سلطة مركزية فهم لا يدفعون الضرائب ولا يخضعون الى المراقبة، وفي هذه الحالة تكتفي الدولة، حتى وان كانت في أوج قوتها، بمجرد الولاء والتبعية الاسمية، فإذا كانت السلطة المركزية قوية تعيش تلك العشائر في مناطقها ومنتجعاتها وبالقفز تطارد العشب في تنقلاتها او تقوم بدور المرشد والحامي للقوافل التجارية او تغزوا بعضها بعضاً، اما اذا ضعفت سلطة الدولة او الحكومة وعجزت عن فرض نفوذها على الإفراد فان هذه العشائر سرعان ما تتجه الى المناطق الخصبة وتتوغل في أراضي الدولة مزاحمة أهلها بل مستأثرة بخيرات الأرض سالبة الأموال من زرع وماشية والنتيجة هي الحرب الدائمة التي تنهي هذه العشائر او هروبها الى الصحراء او انتصارها وتطور إطماعها بالاستيلاء على السلطة والحكم وبهذا الحال يظهر تأثير العامل الجغرافي قوياً ويشتد مفعوله في أوقات الكوارث الطبيعية من جذب ومجاعة او في ظروف اجتماعية غير السلمية كظروف انتشار الإمراض المعدية او تعرضها لهزائم حربية وغيرها[٢٠] وبهذا المعنى فان الظروف الايكولوجية القاسية تنتج أنظمة اجتماعية قاسية كذلك، وتنظيمات عشائرية متضامنة ومتكاتفة وتتميز بعصبية، وهذا ما يظهر واضحا بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣ حيث انتظمت العشائر من جديد وأخذت تلعب ادواراً سياسية واضحة كما ظهرت في منطقة الدراسة.

٢- موقع محافظة الانبار

تقع محافظة الانبار في الجزء الغربي من العراق، إذ يتحدد موقعها الفلكي بين دائرتي عرض (٤٥، ٣٠، ١٥، ٣٥) شمالا وخطي طول (٤٠، ٣٨، ١٥، ٤٤) شرقا، والقسم الغربي من العراق هو ما يطلق عليه بالهضبة الغربية، كما تضم منطقة وادي نهر الفرات عند دخوله الأراضي العراقية قادما من الأراضي السورية، وتضم أيضا القسم الشمالي من السهل الرسوبي الى الجنوب من مدينة هيت وحتى الحدود الجنوبية الشرقية من حدودها وبذلك فقد تباينت

أقسام السطح فيها بين أراضي الهضبة وتموجاتها وما تحتويه من وديان وتلال ومنخفضات بين وادي نهر الفرات ومجراه المنخفض، فضلا عن السهل الرسوبي الذي يتميز باستواء سطحه النسبي[٢١] وفي هذا السياق فان عموم المناطق الغربية تتسم بامتداد أراضيها باتجاه سوريا والأردن والمملكة العربية السعودية وهي تتميز بأراض صحراوية واسعة النطاق، وقد انعكس هذا الوضع على الجانب الاجتماعي، اذ نشأت فيها قبائل بدوية وعشائر تتميز بالعصبية ومتانة نظامها الداخلي، وان هذه الأراضي واسعة النطاق توجد فيها بعض المناطق الصالحة للري لاسيما ما يتصل بمنطقة جريان نهر الفرات، وعليه نقسم ظواهر سطح المحافظة الى أقسام عدة ابرزها، منطقة الجزيرة، وهي تشمل الاقسام الشمالية من ارض المحافظة، اذ يحدها من الجنوب مجرى نهر الفرات الذي تنحدر إليه منطقة الجزيرة من الشمال الى الجنوب، كما تنحدر باتجاه منطقة الثرثار فضلا عن وجود بعض المنخفضات الصغيرة تتجمع فيها مياه الإمطار عن طريق السيول المنحدرة اليها[٢٢] وتضم ظواهر السطح أيضا منطقة الحماد وهي تشكل الجزء الغربي من الهضبة الغربية بمحاذاة الأراضي السورية والأردنية والسعودية وهي عبارة عن سهل منبسط ينحدر نحو الشمال والشمال الشرقي ويتدرج بالارتفاع باتجاه الجنوب الغربي حتى يصل الى اعلى ارتفاع له في جبل عنزة البالغ ارتفاعه نحو (٩٤٠)م[٢٣] وتتميز هذه بكثرة المنخفضات فيها كما ان أراضيها ذات ترب ضحلة قليلة النبات الطبيعي تغطيها بقايا صخور معراة، وتضم ظواهر السطح أيضا منطقة الوديان العليا وهي تقع في القسم الشمالي من الهضبة الغربية بين الأراضي السورية والاراضي السعودية في الجنوب وبين منطقة الحجارة في الشرق ومنطقة الحماد في الغرب، وقد سميت بهذا الاسم لاحتوائها على شبكة واسعة من الوديان التي تتصرف اليها مياه الإمطار من سطح الهضبة ثم تأتي منطقة الحجارة وهي تقع بين منطقة الوديان العليا والسفلى وتمتد باتجاه الجنوب الشرقي خارج حدود محافظة الانبار وقد اكتسبت المنطقة اسمها من كثرة أحجار الكلس والصوان التي تغطي سطحها بشكل بروز وجلاميد، اما المنطقة الخامسة التي تكون ظواهر السطح في المحافظة هي منطقة الوديان السفلى وهي تمتد من الحدود السورية شمالا داخل حدود محافظتي كربلاء والنجف جنوبا، وحدود هذه المنطقة غير واضحة المعالم ويعتقد ان خط الكنتور ٣٠٠م هو الذي يفصلها عن منطقة الحجارة كما يظهر في

هذه المنطقة نظام معقد من الوديان الضحلة تصرف مياهها الى نهر الفرات والى منخفض الحبانية والرزازة عن طريق وديان عدة أهمها وادي الأبيض كما تظهر منطقة السهل الرسوبي لتمتد من جنوب مدينة هيت وهو يتكون من الطين والطمى التي جلبتها مياه الفرات[٢٤]

٣- المناخ

يعد المناخ من الظواهر الطبيعية المهمة في تكوين خصائص البيئة الجافة وهو يتحكم في الطريقة التي تختلف فيها معالم السطح، التربة والنبات والحيوان من حيث نسجتها ونوعيتها كما هي عليه الان في الرطبة وفي هذا المجال ان المناخ له دوره الكبير والفاعل ليس في تكوين ظواهر التحضر وانحسار الأراضي المزروعة وإنما في تفشيها في مناطق معينة تبرز بشكل واضح في البيئات الجافة والتي يمكن ان تصنف في أراضي المحافظة ضمن نطاق المناخ الصحراوي الجاف[٢٥]

٤- درجات الحرارة:

اما درجات الحرارة في هذه المنطقة فقد تعد من المناطق التي تتعرض الى طاقة شمسية كبيرة بسبب زيادة ساعات النهار النظرية والفعلية المقترنة بزوايا سقوط الأشعة الشمسية القريبة من العمودية، اذ ترتفع درجات الحرارة ابتداء من شهر آذار لتبلغ فيه ١٢.٥، ١٤.٤، ١٣.٧، ١٤.٩، ١٥.٨، ١٤.٧، ١٥.٥، ١٥.٩م وذلك في محطات (الرطبة، القائم، عنه، الكيلو ١٦٠، النخيب، حديثة، الرمادي، الحبانية) على التوالي لتبلغ اعلي معدلاتها خلال الأشهر (حزيران، تموز، آب، أيلول) كما ترتفع درجات الحرارة كلما اتجهنا نحو الشرق والجنوب الشرقي لتبلغ ذروتها في محطة النخيب، اذ بلغت معدلات درجات الحرارة فيها لأشهر (حزيران، تموز، آب، أيلول) بحدود ٣١.٦، ٣٤.١، ٣٣.١، ٣٠.٤م على التوالي، علما بان هذه المنطقة تقع في عمق الصحراء حيث صفاء الجو وقلة الغطاء النباتي، كما تأخذ درجات الحرارة العظمى بالارتفاع من شهر آذار وتبلغ ذروتها في شهر تموز وآب لتبلغ ٣٨.٧ لكلا الشهرين المذكورين في محطة الرطبة، كما بلغت درجة الحرارة أعلى معدل لها في محطة النخيب اذ سجلت ٤٢.٢٤، ٤١.٨م على التوالي بزيادة عن معدلها العام قدرها ١٢.٧م في شهر تموز و ١٢.١م في شهر آب[٢٦] اما عن كمية الإمطار الساقطة ابتداء من

شهر تشرين الاول حتى نهاية شهر مايس فقد تتزايد سقوط الإمطار بالاتجاه شمالا اذ يبلغ معدلها السنوي في محطة عنه بحدود ١٤٧.٧ملم وهي ابعد محطة شمالا كما بلغ مجموع معدلات الإمطار الساقطة على محطات القائم وحديثة والرمادي والرطبة والكيلو ١٦٠ والنخيب بحدود ١٣٨.٦ملم، ١٣٧.٤، ١٢٣.٤، ١٠٣.٢، ٨٨.٥ملم على التوالي[٢٧]

٥- الرياح:

اما الرياح السائدة في محافظة الانبار فهي الرياح الشمالية الغربية بسبب وجود منطقة الضغط العالي فوق الأراضي الجبلية التركية يقابلها منطقة ضغط واطئ متمركز فوق منطقة الخليج العربي ما يجعل العراق ممرا منتظما لهذه الرياح لاسيما في فصل الصيف الذي لا يخلو من هبوب أنواع أخرى من الرياح متغيرة الاتجاه وذات معدلات سرعة تبلغ فيها ٣م/ثا[٢٨]. اما نوع التربة فهي تكون على أنواع شتى ابرزها الترب الصحراوية الجافة وهي تشمل سطح الجزيرة وهضبة البادية وتشكل ٨٠% من تراب المحافظة[٢٩].

المبحث الثاني

المساحة والسكان والتقسيم الإداري وتوزيع المستوطنات البشرية في محافظة الانبار

١- مساحة المحافظة:

تبلغ المساحة الكلية لمحافظة الانبار (١٣٧٨٠٨)كم٢ويمكن توزيعها بحسب الوحدات الإدارية الرئيسة في الاقضية: الرمادي ٨٥٤٣كم٢والفلوجة ٤٠٢٥كم٢وهيت ٧٨٧٣كم٢ وحديثة ٣٦٤٤كم٢ وعنه ٥٥٩٧كم٢ وراوه ٥٦٧٦كم٢ والقائم ٨٨٢٥كم٢ والرطبة ٩٣٤٤٥كم٢[٣٠]

٢- عدد السكان

اما تعداد السكان في محافظة الانبار فالسكان فيها ينقسمون الى ريف وحضر، اذ يبلغ مجموع السكان بحسب التعداد العام للسكان لعام ١٩٧٧الى ١٠٢٠٦٩٥ نسمة يتوزعون الى ٥٤١٢١٨ في الحضر و ٤٧٩٤٧٧ نسمة في الريف[٣١]. ويقصد بالحضر هم سكان المدن اذ يعتمد في العراق التقسيم الإداري في التصنيف السكاني الى حضر وريف وتعد مراكز المحافظة، القضاء، الناحية، حضراً وما عدا ذلك فهو ريف.

٣- التقسيم الإداري

تقسم محافظة الانبار الى سبعة اقضية هي الرمادي والفلوجة وهيت وعنه وحديثة والقائم والرطبة وتضم هذه الاقضية وحدات إدارية يطلق عليها النواحي وهي الحبانية وهي تابعة لقضاء الرمادي وناحية الكرمة والعامرية والصقلاوية وهي تابعة لقضاء الفلوجة وناحية كبيسة وهي تابعة لقضاء هيت ثم بروانة وهي تابعة لقضاء حديثة ثم تأتي ناحية راوه وهي تابعة لقضاء عنه ثم العبيدي وهي تابعة لقضاء القائم ثم تأتي ناحيتا الوليد والنخيب وهما تابعتان لقضاء الرطبة.

٤- التوزيع الجغرافي للمستوطنات البشرية:

تتمركز اغلب النشاطات البشرية في محافظة الانبار حول نهر الفرات اذ دفع المناخ الجاف الذي يسود معظم أراضي المحافظة السكان باتجاه نهر الفرات، كما ان نمو المستوطنات عادة ينشأ في المناطق السهلية، كما ان هناك بعض المستوطنات تنشأ لأسباب كثيرة مثل الرطبة والنخيب والوليد وهي تعد مستوطنات حدودية في الهضبة الغربية اعتمدت على الطرق التجارية القائمة مع الأقطار المجاورة للعراق، فضلا عن ذلك توجد مستوطنات الواحات التي تعتمد على المياه الجوفية التي تكفي لإقامة الزراعة ومتطلبات الحياة الأخرى مثل الرحالية اما أكثر اقضية المحافظة كثافة في السكان هو قضاء الفلوجة اذ بلغت الكثافة الحضرية فيها بحدود ٣٩.٨% في حين بلغت الكثافة الريفية ٤٦.٧% اما اقل الاقضية كثافة فهو قضاء الرطبة، اذ بلغت فيها الكثافة الحضرية ١٥% في حين بلغت الكثافة الريفية فيه ٠.٠٢% كما ان اغلب الاقضية الأخرى ذات كثافة سكانية منخفضة باستثناء قضاء الرمادي الذي يتميز بكثافة عالية نسبيا[٣٢]

الفصل الثالث
شبكة العشائر وبنيتها التقليدية في محافظة الانبار *

يبدو ان هناك علاقة وثيقة بين ايكولوجية محافظة الانبار والبنية العشائرية فيها، اذ تشكل الصحراء الجزء الأكبر من مساحتها المترامية، وقد انعكس ذلك على طبيعة حياتها الاجتماعية اذ اتسمت بتشكيل عشائر كثيرة ترجع الغالبية العظمى منها الى قبيلة الدليم العربية، والتي اكتسبت صفاتها القبلية من حياة البداوة ومن حياة الاستقرار الزراعي على ضفاف نهر الفرات، مشكلة مستقرات ريفية لها، وقد كان لعملية التحول من النمط البدوي الى النمط الزراعي دلالات ثقافية وسياسية واقتصادية على بنية القبيلة ومكانتها وتضامنها الداخلي وعلاقاتها السياسية مع بيئتها الخارجية ولاسيما علاقاتها مع السلطة المركزية في بغداد والسلطة المحلية ضمن حدودها الجغرافية، كما ان التوسع السكاني الذي شهدته القبيلة أدى الى انشطارها الى عشائر كثيرة وأفخاذ كثيرة حتى ان هذا الانشطار الداخلي قد زاد اليوم يتبعه بروز زعامات عشائرية من داخل هذه الانشطار الكثيرة مستفيدة من تغير المفاهيم والتحولات الحضرية التي شهدها المجتمع العراقي خلال عقد السبعينات لتبرز فيما بعد وتحت ظروف سياسية زعامات جديدة بعضها لا يمت بصلة الى الطريقة الوراثية في التعاقب على الرئاسة العشائرية، فضلا عن ذلك كله تعيش في المحافظة عشائر أخرى مندمجة مع قبيلة الدليم لفترة طويلة من الزمن.(وهذا ما سنلاحظه في الفصل الرابع).

المبحث الاول: شبكة العشائر وبنيتها التقليدية :

في هذا الاطار سيتم وصف تقسيمات قبيلة الدليم وبعض العشائر المتعايشة معها في المحافظة، وبحسب مواقعها الجغرافية بشكلها البنيوي التقليدي معتمدين على مقابلات مع خبراء العشائر وبعض شيوخ عشائر هذه المنطقة فضلا عن الاعتماد على بعض المصادر الثانوية والتي تدعم الدراسة ثم التطرق الى أهم التغيرات البنيوية التي شهدتها العشائر بعد توسعها في الوقت الحاضر واثر ذلك في أدوارها السياسية وفي هذا الجانب يكون أهمية الوقوف سريعا على البنية التقليدية امراً مهماً لفهم البنية المتغيرة لهذه العشائر. وهنا سوف نصف بعض هذه العشائر التي تنتظم داخل البنية لقبيلة الدليم وبعض العشائر المتعايشة معها،

فلم تعد هذه القبيلة اليوم متواجدة فقط في محافظة الانبار انما انتقل بعض منها خلال العصر الحديث الى مناطق متفرقة من العراق وتشير المصادر المتوارفة عن عشائر الدليم ومنها ما جاء في كتاب الاستاذ عباس العزاوي(٣٣) عن عشائر العراق بالقول ان الدليم من زبيد ويتكون لواء الدليم (محافظة الانبار حاليا) من اغلب هذه العشيرة ويشير الى الدليم غربي الفرات ينقسمون الى أربع فرق وهي

١- آل بورديني
٢- آل بوفهد
٣- آل بوعلوان
٤- المحامدة.

وتظهر كثرة عشيرة الدليم في ساحل الفرات الأعلى من إنحاء الرمادي من جانب الجزيرة والشامية والمعتقد ان هذه العشيرة بينها وبين العشائر الحميرية قربى محتفظ بها ويعد من هذه العشائر (باذراع) من الظفير والسعيد والجنابيون والجبور العزة وكلهم أولاد جد واحد، ويشير الاستاذ عباس العزاوي في هذا الصدد ان حفظ أسماء الأجداد بتسلسل مضطرد لا يعول عليه انما يفيد في اشتقاق الفروع والمحافظة لا تستوعب الكثيرين وهذه محفوظات الرؤساء ومنها (الشيخ علي بن سليمان بن بكر بن عبيد بن ظاهر بن عساف بن خلف بن محمد بن رديني بن محمد بن جاسم بن سبت بن ثامر بن مكتوم بن محجوب بن بهيج) وثامر جد الدليم وأبناءه خميس وسبت وجمعة وإما أولاده الآخرون أولاد كتوم فهم (عمرو) جد العزة وحسن جد (بذراع) من الظفير و(سعيد) جد السعيد و(محمد) الجنابيين و(كلثم) جد الجبور و(اللهيبية) و(الجغافية) و(العبيد)، هذا هو المسموع ويراد به الصلة وللشيخ علي سليمان سلطة واسعة على دليم الشامية وسلطته قليلة على دليم الجزيرة وان كان مسلماً له بالرئاسة العامة. ومن المحفوظات الأخرى المحفظة التالية (شيخ مشحن ابن حردان بن عبد بن حمد بن ذياب بن خلف احد أجداد الشيخ علي السليمان وسلطته على الجزيرة ويعد شيخ الجزيرة وكأنهما وزعا السلطة، ويشير الاستاذ عباس العزاوي أيضا الى ان قبيلة الدليم تتفرع الى.

١- خميس وهو جد المحامدة.
٢- سبت جد الباقين من الدليم.

٣- جمعة جد الفتلة.

وفرقة الرؤساء من سبت ونخوتها (اردن) ويراد بها جمع (أرديني) احد أجدادهم وينتخون بأولاد ناصر والفتلة هذه نخوتها أيضا وفي هذا الصدد ينبغي الإشارة وسريعا الى البنية التقليدية سبت وفروعه التي تتكون من عشائر عدة ابرزها البورديني والبو خليفة والبو مرعي والبو سالم والبو نمر والبو جليب والبو فهد والبو علوان والحلابسة والبو عبيد البو بالي والكرابلة والملاحمة، وعلى العموم فان كثيراً من هذه العشائر متواجدة في مركزها الأصلي في محافظة الانبار وقليلاً منها منتشر في إنحاء أخرى من العراق ولاسيما الى محافظة بغداد بحكم العمل الوظيفي والقرب السكاني فضلا عن وجود بعض أجزاء منها في منطقة كردستان كما هو الحال لجزء من فخذ الجريسات احد افخاذ عشيرة المحامدة الذي اندمج في العمادية بمحافظة دهوك وأخذت تسمى بالعشائر السبع فضلا عن تواجد أجزاء من عشيرة البو علوان في محافظة بابل، كما ان هناك عشائر الفتلة التي يعود نسبها الى قبيلة الدليم التي استقرت في المناطق الجنوبية كما يشير الى ذلك بعض خبراء العشائر التي تم مقابلتهم كما أشار هؤلاء أيضا الى وجود جزء من عشيرة المحامدة من فخذ الجريستات أيضا في محافظة كركوك وهم اليوم مندمجون مع سكان المحافظة منذ زمن بعيد، ومن اجل التعرض الى البنية القبلية في المحافظة بالاستناد الى مقابلات مع المهتمين بالأنساب وجد ان اغلب عشيرة المحامدة متواجدة في منطقة الصقلاوية في قضاء الفلوجة وهي العشائر كبيرة العدد ولا يقتصر تواجدهم في هذه المنطقة بل تعداها الى مناطق اخرى كما مر بنا ويعد رئيسها اليوم حكمت محمد السمير وهي تنقسم الى افخاذ عدة ابرزها البو عزام والمصالحة والبو عكاش والجريسات والبو ذيب وغيرها، كما ان هذه العشيرة قد توسعت كثيرا واضحى الكثير من ابنائها من سكنة المدن ولاسيما مدينة الفلوجة وبغداد ومناطق اخرى من العراق ومنها في منطقة كردستان العراق في محافظة دهوك حيث يشير احد الاخباريين ان شيوخ ما يطلق عليها العشائر السبع في دهوك كانوا يراجعون شيخ المحامدة الشيخ محمد سمير مؤكدين على انتسابهم الى عشيرة المحامدة، اما عشيرة البو فهد فهي من العشائر الرئيسة والذي كان يرأسها لفترة قريبة الشيخ نصر عبد الكريم الذي ذهب ضحية الصراع الدائر في محافظة الانبار وتتميز هذه العشيرة بكبر حجمها وهي تسكن مدينة الرمادي وبعض المناطق المجاورة

لها وابرز افخاذها البو جحش والبو علي والبو طه والبو فياض والبو حمزة والبو موسى والبو عجور وغيرها، وقد احتل ابناؤها مناصب إدارية وعسكرية عليا شأنه شأن الكثير من عشائر الدليم الأخرى وتتميز بشدة اعتزازها بنسبها شأنها شأن غيرها ثم تأتي عشيرة البو نمر وقد تحدث بعض الخبراء بالعشائر من كبار السن (الاخباريين) ان هذه العشيرة تسكن في مناطق غرب مدينة الرمادي وتتميز بعزتها و نمطها البدوي وزعيمها نجرس القعود وبعده أصبح ابناؤه من زعمائها كما كان لهذه العشيرة دور سياسي بعد عام ٢٠٠٣ وكذلك كان لبعض ابنائها دور في بعض إحداث تاريخ العراق الحديث. إذ حاول بعضهم من التمرد على سلطة بغداد في بداية السبعينيات من القرن الماضي حين حاول بعض الضباط المنتسبين لها التمرد على السلطة ومنهم ريكان الصفوك وآخرون وقد توترت العلاقات بينهم والسلطة آنذاك ومن أهم افخاذها البو محمد النمر والبو الحمد النمر والبو حسن النمر والبو حسين النمر، كما ذهب بعض شيوخها بتفجير اراهبي في بغداد في السنوات القليلة الماضية في اجتماع لشيوخ العشائر والصحوة في فندق المنصور (ميليا) في وسط العاصمة بغداد ثم تأتي عشيرة البو علوان وهي من العشائر الكبيرة وتوجد في مدينة الرمادي وقسم منها يوجد بالقرب من الفلوجة وبعضها يوجد في منطقة البو علوان في قضاء المحاويل في محافظة بابل، ورئيسها في الوقت الحاضر عدنان خميس جميل المهنا وابرز افخاذها البو حسن العرار والحسين العرار وحميد العرار وسلامة العرار وسليمان العرار وسلطان العرار وغيرهم وفي مقابلات أجريت في مدينة الرمادي مع بعض الاخباريين ومع بعض شيوخها ان لها دوراً مهماً في فرض الاستقرار بالمحافظة بالتعاون مع العشائر الأخرى، وهي تتميز بالتماسك، وقد برز منها شخصيات في إدارة السلطة المحلية في المحافظة منهم محافظ الانبار ونائب مجلسها وبعض أعضائه، وبعدها تأتي عشيرة الحلابسة وأبرز رؤسائها عبد الله محمد الظاهر وإسماعيل الشميخان وفرج العبد الحمد ويرأسها في الوقت الحاضر طارق خلف العبد الله ومركز تواجدها في مدينة الفلوجة وناحية الكرمة وفي مناطق غرب الفلوجة وفي منطقة الزنكورة بالقرب من مدينة الرمادي كما يوجد بعض منها في منطقة اليوسفية في بغداد وابرز افخاذها البو مشعل والعفارة والبو شاوش وغيرها من الفروع الأخرى التي بدأت تنمو وتجد لنفسها رئاسة خاصة مثل البو مطر وغيرها، ثم عشيرة البو عساف ورئيسها عبد

الرزاق علي السليمان الذي يعد شيخ مشايخ الدليم (شيخ عموم) ويرأسها في الوقت الحاضر الشيخ عامر عبد الجبار علي السليمان ثم تأتي عشيرة البو علي الحاسم ثم عشيرة البو ذياب وشيخها حميد الشوكة ثم عشيرة البو خليفة وشيخها عبد الكريم ذياب الخريط وهي تسكن منطقة الخالدية وقد تميزت بقوتها وتماسكها ثم تأتي عشيرة البو مرعي وشيخها كردوش والان كريم الرمل ثم عشيرة البو ريشة وزعيمها جزيع فتيخان ابو ريشة ومن ابرز زعمائها في الوقت الحاضر عبد الستار ابو ريشة الذي كان له دور سياسي متميز في تحقيق الاستقرار في المنطقة بعد صراع مرير مع تنظيم القاعدة كما انه ذهب ضحية تفجير إرهابي وأصبح خلفا له الان احمد ابو ريشة وقد كان لهذه العشيرة دور سياسي متميز في المرحلة الراهنة في صراعها مع تنظيم القاعدة قلب الأوضاع في المحافظة رأسا على عقب وحقق استقرارا نسبياً في المحافظة آخذ بالاستقرار الا انه ما ان تحقق ذلك حتى دخلت المحافظة حقبة جديدة من الصراع وهي التنافس على إدارة السلطة المحلية كما حصل في انتخابات مجالس المحافظات الأخيرة ويذكر احد الاخباريين من الذين يعرفون عن قرب الشيخ عبد الستار ابو ريشة بانه تميز (بشمولية فكره) ويقصد بذلك ان أهدافه تتعدى عشيرته وحتى عشائر المحافظة وهو اتجاه وطني أي يتعدى بيئته المحلية، كما أضاف الإخباري (ان الشيخ عبد الستار قد فقد أعضاء بارزين مع عائلته وانه قد اكتوى بنار القاعدة وقد عمل من خلال نظرته وحسه الواسع الى تكوين تكتلاً عشائرياً عرف (بالصحوة) كما ذكر إخباري آخر خلال مقابلة أجريت حول مناقشة موضوع الصحوة (ان الشيخ عبد الستار كان له دور سياسي مهم في نزع فتيل فتنة بين عناصر الصحوة والحزب الإسلامي العراقي وبعض القوى السياسية المشاركة في السلطة وانه بحكمته قد فك الخلاف)، وهناك من يتحدث عن شجاعته في تحقيق الاستقرار. ثم تأتي عشائر اخرى منها عشيرة البو محل والسليمانيين ثم عشيرة الكرابلة واهم افخاذها البوعجام والبو حسن والبو شهاب والبو خالد والبو بكر والبو شهاب وغيرهم وتسكن بعضها في المناطق المحاذية للحدود العراقية السورية في حصيبة ويتواجد كثيرون منهم في منطقة الجزيرة في الرمادي وفي منطقة الراشدية، كما تأتي عشيرة البو سودة والبوجليب وشيخها عبود العبادة وتسكن في منطقة الشامية قرب هيت وبعضهم في منطقة التاجي ثم عشيرة البو عبيد التي تميز قسم كبير من إفرادها بالبداوة ومن زعمائها خلف العبد وعفتان

الشرجي وابرز افخاذها البو عبد الله والبو سامر والبو مطاوع والبو طعان والبو خلف العبيد والبو عبد الله العبيد وغيرهم، كما تأتي عشيرة البو دلي- وتاريخيا- رئيسها فاضل المرعي ويسكنون في منطقة الزوية ويتواجدون في مناطق اخرى في المحافظة بعدما هاجر عدد منهم الى المدن كما يتواجد في منطقة الراشدية واهم افخاذها البو جنعان والبو عبد الحسن والبو عبد الله وغيرهم فضلا عن عشائر اخرى منهم الملاحمة وابرز افخاذها البو فليح والبو عجاج والمحاصيل وغيرها وقد تميز اقتصاد الغالبية العظمى من هذه العشائر في ممارسة الزراعة وبهذا استوطن الكثير منها على ضفاف نهر الفرات وتميزت حياتها التقليدية بالتماسك الشديد واعتزازها بنسبها، كما عرفت بتقاليدها العشائرية المتقاربة وبانتمائها الى المحافظة الواحدة وهي الرمادي وقد مثلت المناطقية والعشائرية شيئين متفقين وخاصية التقارب الجغرافي لعبت دورها في التلاحم العشائري حينما يتم الحديث عن عشائر اخرى عاشت لزمن طويل مع قبيلة الدليم حتى أنها حسبت تاريخيا عليها أو على لواء الدليم (محافظة الانبار حاليا) وابرز العشائر التي عاشت في محافظة الانبار وكانت اشد التحاما مع عشائر الدليم وحسبت ولا تزال تحسب ضمن البنية التقليدية لهذه القبيلة ومنها البو عيسى التي تعد بثقافة اليوم من عشائر الدليم الرئيسة وابرز شيوخها كامل محمد الدحل وخميس الحسناوي واهم افخاذها البو جسام والمهنا وغيرها وتسكن في المناطق المجاورة لمدينة الفلوجة كما ان كثيراً من ابنائها اليوم يسكنون المدينة وتميز باصالتها وقوتها وبعصبيتها واعتزازها بنسبها كما ان لها ادواراً سياسية في المحافظة مميزة وتشكل قوة يعتز بها في محافظة الانبار كما تسكن في المحافظة عشائر اخرى (ساكنت الدليم) لفترات طويلة من الزمن ابرزها عشيرة الجميلة وتسكن في الفلوجة وناحية الكرمة التابعة لها، وعشيرة العكيدات والبو حيات والجغايفة والعبدلة والنعيم والعبيد وبني زيد واللهيب وعنزة والشجيرية والكرطان والبكارة والبوشعبان وغيرها كما تنتشر في محافظة الانبار بعض المدن الحضرية التي تتميز بخصوصية مميزة سواء بطبيعتها ونظم حياتها وأصالة ابنائها مثل الكبيسات الذين يسكنون قضاء كبيسة والعانيون في عانة والراويون في راوة والحديثيون في حديثة وكل هؤلاء ينتمون الى عشائر عريقة وهي تعتز بانتمائها الى محافظة الانبار وقد تميز أبناء هذه المناطق على المناطق الأخرى في المحافظة بتعليمهم العالي منذ وقت مبكر وتقلدهم مناصب

مميزة في الدولة العراقية كما أنهم حصلوا على مراكز علمية في دول العالم ايضا، ومهما بعدت الشقة بهم فهم يعتزون بانتمائهم الى المحافظة كما أنهم يتميزون بالتخصص بالتجارة والمهن المتميزة في المجتمع فضلا عن تميز كثير من إفرادها في مجال الفكر والثقافة والسياسة والفن وهم في هذا المجال يمثلون سكان الحضر بحق وسط مجتمع قبلي مميز.

المبحث الثاني : خريطة توزيع قبيلة الدليم والعشائر المتعايشة معها

جدول(١) يوضح التوزيع الجغرافي لعشائر الدليم والعشائر المتعايشة معها في محافظة الانبار

اولا: التوزيع الجغرافي لعشائر الدليم في محافظة الانبار:

العشيرة	مناطق تواجدها
١- المحامدة	منطقة الصقلاوية بالقرب من الفلوجة وفي مدينة الفلوجة، وهناك جماعات منها تسكن الراشدية بالقرب من بغداد وبعضها في كركوك وقسم آخر في العمادية ومنطقة دهوك وهم مندمجون مع الأكراد ويطلق عليهم العشائر السبع وهم من فخذ الجريسات.
٢- عشيرة البو فهد	في منطقة الصوفية والحامضية وفي مركز مدينة الرمادي يسكن بعضهم في الفلوجة
٣- عشيرة البو نمر	تسكن بالقرب من قضاء هيت غرب مدينة الرمادي على نهر الفرات وبعض المناطق المجاورة له
٤- عشيرة البو علوان	توجد في مناطق كثيرة وخاصة في مدينة الرمادي في منطقة البو علوان وكذلك في مدينة الفلوجة وفي منطقة الحصي بالقرب منها كما يوجد بعضهم في ناحية الكرمة في قضاء الفلوجة وكذلك يوجد قسم منهم في منطقة المحاويل في محافظة بابل
٥- عشيرة الحلابسة	توجد في ناحية الكرمة في قضاء الفلوجة وفي مدينة الفلوجة وفي منطقة الحصي بالقرب منها ويوجد منهم في منطقة زنكورة بالقرب من مدينة الرمادي والقسم الأخر يوجد في الرطبة كما هناك تواجد لهم في منطقة اليوسفية بالقرب من

	مدينة بغداد ومنطقة الطارمية بالقرب من منطقة بغداد أيضا
٦- عشيرة البو عساف	تسكن في منطقة الرمادي وفي الفلوجة وهيت
٧- عشيرة علي الجاسم	تسكن الرمادي في منطقة الجزيرة وهيت
٨- عشيرة البو ذياب	تسكن في منطقة الجزيرة وهيت
٩- عشيرة البو خليفة	تسكن في منطقة الخالدية بناحية الحبانية وفي الفلوجة
١٠- عشيرة البو مرعي	تسكن الرمادي – الفلوجة – الحبانية
١١- عشيرة البو ريشة	تسكن الرمادي في منطقة الجزيرة وفي الكرمة في قضاء الفلوجة
١٢- عشيرة البو محل	تسكن في حصيبة – الرمادي – العبيدي – المحمدية
١٣- عشيرة السلمانيين	تسكن حصيبة – حديثة – مدينة الرمادي – مدينة الفلوجة
١٤- عشيرة الكرابلة	تسكن حصيبة – الجزيرة في مدينة الرمادي- الفلوجة – ابو غريب
١٥- عشيرة البو سودة	تسكن مدينة الرمادي – الفلوجة – الكرمة
١٦- عشيرة البو كليب	تسكن في منطقة الشامية قرب هيت وفي هيت ومنطقة الجبة في مدينة الرمادي
١٧- عشيرة البو عبيد	تسكن في منطقة الجزيرة في مدينة الرمادي وبعض المناطق المجاورة لها
١٨- عشيرة البودلي	تسكن في منطقة الزوية في الرمادي وبعض منهم في منطقة الراشدية
١٩- عشيرة الملاحمة	تسكن في منطقة الصقلاوية بالقرب من الفلوجة وفي مدينة الرمادي وبعض منهم في الطارمية بالقرب من مدينة بغداد
ثانيا: العشائر الساكنة والمتفاعلة مع عشائر الدليم:	
١- عشيرة البو عيسى	تسكن في الفلوجة وفي عامرية الفلوجة ومنطقة الحصي بالقرب منها وفي الرمادي وبعض المناطق في منطقة ابو غريب بالقرب من بغداد
٢- عشيرة الجميلة	تسكن في ناحية الكرمة في قضاء الفلوجة وفي مدينة الفلوجة
٣- عشيرة الكعيدات	تسكن في منطقة المناطق الغربية ولاسيما في منطقة حصيبة الغربية وفي الرمادي
٤- عشيرة البحيات	تسكن في مدينة الرمادي وفي حديثة وفي منطقة حصيبة وفي منطقة الفلوجة
٥- عشيرة الجغايفة	تسكن في منطقة حديثة وفي الرمادي وفي مدينة الفلوجة
٦- عشيرة العبدلة	تسكن في مدينة الفلوجة ومدينة الرمادي -ناحية الكرمة

٧- عشيرة العبيد	تسكن مدينة الفلوجة وفي منطقة البغدادي غرب مدينة الرمادي وفي مدينة الرمادي اما سكن الغالبية العظمى في قضاء الحويجة في كركوك
٨- عشيرة النعيم	تسكن في الفلوجة كما تسكن في مناطق مختلفة من العراق
٩- عشيرة بني زيد	تسكن في منطقة الكرمة في قضاء الفلوجة
١٠- عشيرة اللهيب	تسكن في منطقة الكرمة في قضاء الفلوجة
١١- عشيرة الشجيرية	تسكن في مدينة الرمادي وفي مدينة الفلوجة
١٢- عشيرة الكرطان	تسكن في منطقة الجزيرة بالقرب من مدينة الرمادي
١٣- عشيرة عنزة	تسكن في منطقة النخيب وفي الرطبة وهيت وحديثة
١٤- عشيرة البكارة	تسكن منطقة الصقلاوية بالقرب من الفلوجة ومنطقة الازرقية
١٥- عشيرة البوشعبان	تسكن في سن الذبان بالقرب من منطقة الحبانية
١٦- عشائر مدينة راوه (الراويين)	تسكن في راوه وحديثة ومدينة الرمادي والفلوجة وبعضهم يسكن في بغداد
١٧- عشائر حديثة (الحديثيين)	يسكنون في حديثة وفي مدينة الفلوجة وبعضهم في بغداد
١٨- عشائر مدينة كبيسة (الكبيسات)	يسكنون في منطقة كبيسة وفي مدينة الفلوجة وفي الرطبة وحديثة وبعضهم يسكن مدينة بغداد.

المصدر: من عمل الباحث بالاعتماد على بعض البيانات المتحصل عليها خلال المقابلة التي أجريت مع مؤرخ الأنساب السيد ثامر العنزي في مدينة الفلوجة خلال يومي ١٥-٢٠٠٩/٥/١٦

علما بان هناك تغيرات كثيرة قد حصلت في بنية العشائر حتى ان بعض افخاذها اخذ ينقسم ليكون عشائر خاصة بهِ نظرا للتوسع الكبير وتزايد عدد السكان وتشجيع الدولة في ظهور العشائر إبان التسعينيات ما جعل كثيراً من الأشخاص الذي يترأسون عوائل يسعون الى توسيع أفخاذهم الى عشائر وهذه الظاهرة بدأت تظهر في الوقت الحاضر في الكثير من افخاذ العشائر وسوف يتم التطرق الى التغيرات التي حصلت في بنية العشيرة خلال الصفحات المقبلة.

الفصل الرابع

التغيرات التي طرأت على بنية القبيلة في المرحلة الحالية *

تعد التغيرات التي طرأت على بنية القبيلة في محافظة الانبار مؤشرا مهما في فهم تشكيلاتها الجديدة، وتفكك سلطتها التقليدية. ليعطينا ذلك صوره وصفية لما هو قائم اليوم.

المبحث الاول ـ التغيرات الاجتماعية والثقافية:

١ - اتساع نطاق العشيرة

لقد توسعت العشائر في محافظة الانبار توسعا كبيرا ولاسيما خلال الحقب التي تلت الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر، ويشير احد الاخبارين الى هذا التوسع بالقول (لم يكن إفراد العشيرة الواحدة يتعدى بضعة مئات من الإفراد وأما اليوم فقد وصل عدد بعض العشائر الى عشرات الآلاف من الأشخاص) وهذا يشير الى كبر حجم العشيرة وما يتبعه من تغير سواء في وظائفها التقليدية ام في تغير أنشطة إفرادها بعد انخراط الكثير منهم في حياة المدينة بعد ان تركوا الزراعة واشتغلوا بالوظائف الحكومية والنشاطات الأخرى، ويمكن القول ان كثيراً من توجهات أبناءها قد تغيرت كما تفككت علاقاتها التقليدية خلال زمن قياسي ولا سيما خلال حقبة السبعينيات حينما توسعت خطط التنمية في البلاد، كما ان افخاذها وأقسامها قد توسعت كثيرا يوما بعد آخر وما تبع ذلك من ظهور زعامات جديدة بعضها لا يمت بصلة الى الزعامات المعتمدة على مبدأ الوراثة، وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان كثيراً من الأفخاذ التي تعرف بأنها فخذ واحد قد انقسمت وأصبح لكل فريق منهم رئاسة خاصة فخلال دراستنا لعشيرة الحلابسة في أرياف الكرمة ودراستها داخل المدينة وجدنا ان هناك انقسامات قد حصلت في بعض افخاذها فعلى سبيل المثال فخذ البو مشعل الذي يتكون تقليديا من البو علي والبو مطر والنجادي أضحى اليوم مقسماً الى عوائل وأفخاذ صغيرة لكل منها رئيس بل بعض العوائل الصغيرة المتفرعة من هذه الأفخاذ الصغيرة اخذ تشكل لنفسها رئاسة خاصة وهكذا بدأت الأبنية القديمة بالتفكك من عصبتها التقليدية التي كانت تمتد الى خمسة اظهر او أجداد اضحت اليوم تشهد نوعاً من الانحلال وهذا انعكس على السلطة التي لم تعد فاعلة تجاه إفرادها ولاسيما الشباب منهم، كما اضحت رئاسة الفخذ او العائلة في اغلب

الأحيان مرتبطة بما يملكه الشخص المرشح للرئاسة من مال ومكانة لدى السلطة فضلا عن طبيعة علاقتها مع أبناء عشيرته او أقاربه الذين يسعى الى استمالتهم بشتى الطرق مستغلا في بعض الأحيان جهل كثير من الشباب التسلسل الوراثي للرئاسة، فهذه المسألة تحتاج الى من يعرف أصول العشائر وتاريخها وقد اختلطت بعض المعلومات بين التوسع الذي شهدته العشائر من جهة وبين الظروف الاقتصادية القاهرة التي مر بها المجتمع بحيث أصبح إفرادها يهتمون بأنفسهم ومعاشهم أكثر باهتمامهم بأصول عشائرهم بالدقة المتناهية كما كان سائدا في الحقب الماضية، وقد كان لهذا التحول السريع في بنية العشيرة دلالات ثقافية عميقة فهو عمل على تغيير وتبديل الكثير من وظائف وادوار العشيرة التقليدية فبعد ان كانت العلاقات القرابية تتصدر الأولويات اضحت الى جانبها وتطغى عليها المصالح والعلاقات الشخصية في اغلب الأحيان ولهذا اثر كثيرا في توجهات العشيرة. وخلال مقابلة مطولة أجريت مع احد الباحثين والمهتمين بالعشائر وأصولها أكد ان التغيرات التي حدثت في العراق بعد عام ١٩٥٨ وإلغاء نظام أو القانون العشائر قد عمل على تفكيك البنية العشائرية في سائر العراق كما ان حركة التنمية التي وصلت الى درجات متقدمة خلال حقبة السبعينات قد خففت الاهتمام بالعشائر الى درجة كبيرة لاسيما وان توسع المدن والهجرة الواسعة من الأرياف اليها قد ساهم في ذلك، وعند توجيه سؤال عن مدى وجود الظاهرة العشائرية في تلك الفترة، رأى ان العشيرة بصفته نظاماً اجتماعياً كان موجودا وقد كانت العلاقات القرابية تلعب دورا محوريا في حياة الناس ولاسيما في معاملاتهم في مؤسسات الدولة الا ان نظام العشيرة مؤثر في الحياة الاجتماعية كما كان عليه في الماضي، وقد تغيرت حينما أصبح القانون هو الذي يفصل في مشكلات الناس ولاسيما في المدن كما ان امتداد التنظيمات الحزبية الى الأرياف قد اوجد قوى اخرى منافسة لسلطة العشيرة، وبهذا فان بعض من شيوخ العشائر لم يتعاملوا بايجابية مع تلك التغيرات لأنهم كانوا يرون ان ذلك يحصل على حساب العشيرة، الا ان قوة العلاقات القرابية بقيت تؤدي ادوارها فانتقل تأثير الانسان العشائري بتأثيره الى تسخير القانون لخدمة أقربائه الا ان هذا لم يكن يحصل في كثير من الأحيان مع خوف بعض أبناء العشائر من العمل علنا لصالح إفراد عشيرتهم او انصرافهم الى تحقيق مصالحهم الشخصية اما من الناحية السياسية فان الظاهرة العشائرية كانت مؤثرة بدرجة كبيرة في

أفرادها، ودائما انضمام الأفراد الى عشيرتهم كان يحصل في الأوقات الصعبة لذا كانت السلطة السابقة حينما يحصل من احد أبناء عشيرة ما تمرد او رفض لسياسة الدولة آنذاك لا يعاقب وحده بل يعاقب اقرباؤه وربما أفراد عشيرته البعيدون، حينما يستبعدون من وظائف حكومية وغيرها وقد وجدنا خلال العمل الميداني ان كثرة أعداد الشيوخ في حقبة التسعينات يعود الى تشجيع الدولة للعشائر لأهداف سياسية ولخدمتها بعد ما نأت عنها في حقب ماضية، وبهذا هناك شخصيات عشائرية برزت في الساحة من خلال علاقتهم بالسلطة وليس على أساس مبدأ الوراثة المتعارف عليه في انتقال السلطة في العرف العشائري ويروي احد الإخباريين قصة عاشها بنفسه في محافظة الانبار عندما كانت الشيوخ تظهر الى الساحة بالجملة انه رأى احد الأفراد الذي ينتمي الى عائلة كانت الرئاسة في عائلته وراثيا فعندما تم ترشيح احد إفراد العشيرة الذين لم يكن لهم رئاسة على مستوى العشيرة ليكون رئيسها العمومي أخذته الحمية العشائرية وجمع أقربائه حول الموضوع وقد أيده كثيرون الا ان الشيخ المرشح كان مدعوما من قبل السلطة آنذاك فذهب الشيخ الأصلي الى المحافظ آنذاك وطرح القضية أمامه وقد اهتم المحافظ بهذه المسألة الا انه سرعان ما أصبح ذلك الشخص المرشح من السلطة ومن بعض الأصوليين شيخا معتمدا من قبل الدولة ويطلق عليه شيخ (أ) وقد حدث هذا خلافا لسنن العشائرية وهذا يؤكد التفكك الذي حصل في بنية العشيرة التي أصبحت أدوارها الاجتماعية شكلية أكثر مما هي حقيقية، بل أصبح الشيوخ الجدد همهم الوحيد هو تلقي المعونات والهبات من السلطة أكثر من اهتمامهم بشؤون عشائرهم، ومثل هذه القضية تصدق على حالات اخرى حصلت في مناطق اخرى من المحافظة وقد تبين من خلال العمل الميداني ان هناك تغيرات ثقافية قد طرأت على المفاهيم والسنن العشائرية وعندما تم دراسة هذا الموضوع في عشيرتي المحامدة والحلابسة في الفلوجة اتضح ان أبناء العشيرة الذين يسكنون المدينة هم أكثر من أولئك الذين يسكنون الأرياف تعرضا لهذه التغيرات فلم يعد اهتمام الشباب من هاتين العشيرتين يهتمون كثيراً بالسنن العشائرية الا من حيث الشكل ومن خلال المعايشة الميدانية اتضح ان أولئك الشباب لم تعد لهم اهتمامات حتى بأقاربهم المقربين لاسيما بعد دخول(الستالايت والموبايل والانترنيت) واتصالهم بالحياة الحضرية في بغداد حيث ابتعدوا عن الالتزامات العشائرية بشكل أصبح يهدد حتى البنية المتغيرة

للعشيرة نفسها وهناك من يؤكد ان العشائر تمثل بالنسبة لهم عامل تأخر وانغلاق وان دورها سينتهي حينما يستقر الوضع وتتحقق فرص عمل للناس إذ ينصرف الناس لاعمالهم اكثر من انصرافهم الى عشائرهم الا ان هذا الرأي يجد من يعارضه بشيء من القوة من بعض الشباب المندمج بامور العشيرة، الا ان الملاحظ ان اتجاه ابناء العشيرة في المدينة يشهد تغيرات حقيقية تجاه العشيرة والتعصب لها وان حاجتهم لها لا تأتي الا حينما يحكم الواقع بالاعتماد عليها من اجل قضاء حاجة في مؤسسات الدولة والا انها من حيث الارتباط العاطفي بدأت تنحصر كثيرا، وهذه الصورة وجدنا ما يخالفها تماما في الارياف الذين يعيشون في حقول زراعية متقاربة ويحيون حياة جماعية في المناسبات المختلفة وكذلك في اكثر الايام الاخرى، وقد وجدنا من خلال المعايشة في بعض مناطق عشيرة الحلابسة والمحامدة ان هناك صراعا وحسدا واضحا بين ابناء العمومة المتجاورين سكنيا بشكل خطر ليصل في بعض الأحيان الى الكره وهو ما يتناقض مع ما يوجد بينهم من صلة قربى الا أنهم في المواقف الاخرى تراهم في صورة اخرى مغايرة تماما فما زال دور العشيرة المحلي سائدا الى درجة كبيرة في المناطق الريفية كما تم ملاحظة ان بعض الشباب المتعلم او الشباب المتدين هو اقل اندماجا مع شؤون العشيرة من الآخرين الا أنهم يتضامنون معهم بدرجة معينة، ويحظى الشيخ بالاحترام والطاعة النسبية في منطقة العشيرة الريفية اكثر من حصولها في المدينة فالرئيس في المدينة يقدم له الاحترام الشخصي حينما يكون جيبه عامرا حتى انه يبدأ بالصرف بسخاء في المطاعم والأماكن الاخرى التي يكون متواجدا فيها طلبا للاحترام والظهور على الآخرين الا ان أوامره تجاه أقربائه الساكنين في المدينة لا تحظى بالتقدير الكامل والتعامل معها لا يعدو كونه مجاملة.

٢- العشيرة ومراتبها الداخلية:

لقد تغير الحال عما كان عليه في ظل البنية التقليدية للقبيلة التي كانت تنقسم الى عشائر ثم الى افخاذ معروفة الرئاسة ومن ثم الى عوائل او اسر مرتبطة مباشرة بالرئاسة في الفخذ، والشيء الذي تغير (حسب الآراء التي جمعت من الدراسة الميدانية والأسئلة الموجهة حول الموضوع) ان كل عشيرة اليوم تحاول الانقسام الى أقسام عدة، وكل قسم يحاول ان يكون لنفسه رئاسة او

شيخ من بين أعضائه دون الاهتمام بالرئاسة الأصلية في العشيرة بحيث أصبحت الزعامات في الفخذ الواحدة عديدة وكثيرة فالشخص الذي كنا نعرفه قبل سنتين بانه فلان أصبح اليوم شيخ فلان حتى ان بعض العوائل مجرد ان تلتقي في جد ثالث وجدت لنفسها شخصية(تسميه خاصة) وأخذت تعرف باسم جدها ولها شيخها الجديد، وبهذا فان التسلسل القرابي (النسب) اليوم وبحسب ما شاهدناه في الميدان بدأ يظهر على شكل عائلة من اظهر اثنين (جدين) او ثلاثة يشكلون مجموعة قرابية يرأسها الشيخ وقد كان هذا بحكم التوسع في بنية العشيرة التي اضحت بعشرات الاقسام والعوائل بحيث اصبح في الفخذ الواحد اكثر من شيخ يتنافسون على رئاسته من خلال عائلة منقسمة منه ليظهر فيها شيخا خاصا بها بل انهم ارتضوا ان يطلق عليه شيخ بينما يعيش شيخ آخر لهذا الفخذ في منطقة اخرى يرى نفسه بانه شيخ ويطلق عليه الناس واقرباؤه الذين يتواصلون معه بان شيخهم، لقد انتجت (التراتبية) الجديدة في العشيرة تنظيمات افقية اكثر ما أنتجته من تراتبية عمودية وهذه ظاهرة جديدة في بنية العشيرة اليوم ما جعل ضبط سلوك العشيرة او الفخذ صعب في ظل هذه الظروف وقد يرى بعضهم ان العامل الاقتصادي من العوامل المساعدة في ظهور مثل هذا التراتب الاجتماعي داخل العشيرة إذ ان الكثير من العوائل قد حققت من الزراعة خلال التسعينات مبالغ كبيرة، وان بعض العوائل قد باعت جزءاً صغيراً من أراضيها الزراعية حينما ارتفعت الأسعار بطريقة سريعة ما شكل بعض البيوت التي توصف بالغنية ووجود اسر اخرى فقيرة وقد ازدادت فقرا اثناء الحصار الاقتصادي ما جعل بعض الإفراد في تلك الأسر يشكلون مشايخ محلية اضحت في أحيان كثيرة تقوم بدور في حل المشكلات التي تحصل ضمن مناطقها او ان بعضها يزج بنفسه في حل مشكلات أخرى لبيوت مجاورة لهم وهكذا بدأ هذا التراتب الجديد يأخذ مساحته وعند مقابلة احد الشيوخ من هذا التراتب اخذ يؤكد ان رئاسته تحظى بتأيد الأقرباء وهو يرى في ذلك شروطاً مقبولة ومشروعة لزعامته عليهم ، وحينما تم مناقشته على مبدأ الوراثة اخذ يقول ان ابناء أولئك المشايخ الأولين لم يعدوا صالحين لقيادة العشيرة بسبب تعبهم وعدم اهتمامهم بشؤونها وسننها او انهم أصبحوا بعيدين عن مثل هذه الأمور وحينما تم دراسة أوضاع بعض ابناء المشايخ الأصلية وجدنا ان بعضهم يعاني من الفقر وظروفه الاجتماعية جعلته منزويا ومستهزئا بالوقت نفسه من الحالات التي بدأت تظهر،

وان مسألة الرجوع الى السنن الأولى يكون صعبا لاسيما وان العامل الاقتصادي اخذ يتحكم في هذا المجال فالمشيخة تحتاج الى مصاريف كثيرة ومظاهر اجتماعية أصبحت العشيرة في اغلب الأحيان غير مستعدة لتقديم مساعدتها او إسهاماتها للشيخ حتى يقوم بواجباته ما أتاح للذين تطوعوا للقيام بمثل تلك المصاريف المناسبة لكي يتصدروا الرئاسة لكن على المستوى المحلي وليس على مستوى العموم ومستوى العموم هو الأخر لا يقل تأثرا بالجانب الاقتصادي الا انه اقل حدة من ذلك الذي يظهر في التراتب العشائري الجديد.

٣- الحاجة الى العشيرة :

تظهر الحاجة الى العشيرة باعتبارها مصدر قوة وسند لأبنائها ولاسيما في أوقات الأزمات وأيضا بصفتها جماعة تكافل اجتماعي لأبنائها حينما يكونون بحاجة الى مساعدة ويذكر احد الاخباريين ان العشيرة في الماضي كانت بمنزلة عائلة واحدة فإذا احتاج احد الى المساعدة تقوم العشيرة بتقديمها له وهو جزء لا يتجزأ من واجبها، كما ان العشيرة كانت تقف مع ابنائها في السراء والضراء وفي حل مشكلاتهم الداخلية ومشكلاتهم مع غيرهم من عشائر اخرى ولا يقف الحد عند المساعدة بل انها تناصره ضد من يعتدي على حقوقه او في حالة عدائه على الآخرين (أي في هذه الحالة وبحكم الرابطة العصبية تحميه وتتحمل التعويضات اللازمة حينما يتم الحكم (الفصل) في قضيته) الا ان في بعض المواقف التي تتعارض مع سنن العشائر مثل الاغتصاب والسرقة وغيرها فان المسألة في مثل ذلك يتحملها الفرد وينال العقاب والزجر والإدانة من قبل الأقرباء قبل الآخرين، وعند دراسة حاجه الناس للعشيرة في عشيرتين يسكن قسم منها الريف والأخر المدينة وهما عشيرة البو عيسى وعشيرة الحلابسة وجدنا ان الذين يسكنون الريف يكونون على حاجة دائمة لعشيرتهم في مناصرتهم في مواقفهم الكثيرة سواء على صعيد حمايتهم في أرضهم او في رفع مكانتهم عند العشائر الاخرى وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان الكثير من ابناء تلك العشائر في الريف يعتزون بأقاربهم الذين يحتلون مناصب حكومية عالية ويذكر احد الاخباريين من هذه العشائر ان شخصا اصبح مسئولا رفيعا في الدولة وقد عرضت عليه العشيرة ان يكون ابنائها معه يحمونه ويحافظون عليه وكأن هذا المنصب الإداري اصبح ملكا للعشيرة كما ان المسؤول نفسه وبحسب

الإخباري هو بحاجة الى أقاربه بل ان مكانته ستكون قوية في هذا الجانب، ويذكر احد الشيوخ من بيوت عشيرة الحلابسة ان حاجة الناس الى العشيرة وشيخها هي في حل مشكلاته مع الآخرين ، وان يقف الى جانبه وحين تم دراسة هذه الحاجة في مدينة الفلوجة على السكان الحضريين وجدنا بان حاجة الناس الى عشائرهم ولاسيما من هاتين العشيرتين ، أن الحاجة في اكثر الأحيان رمزية، وان هذه الحاجة ليس عالية جدا أي ليس ذات طبيعة استمرارية في تحركاتهم اليومية الا انها تظهر حين لا يجدون وسيلة لحل مشكلتهم سوى العشيرة ، وحينما يكون منطق القوة هو المطلوب وعند التعمق في هذه المسألة، فان احد الساكنين ذكر في المدينة ان الحاجة الى العشيرة في أمور محدودة وفي وقت الأزمات وان التزامنا تجاهها لا يعدو كونها قضية رمزية تتصل بالنسب والمكانة في المدينة التي يظهر فيها تقدير نسبي للعشيرة وهذا عكس ما وجدناه في مدينة الرمادي اذ يكون ابن المدينة في بعض الأحيان شديد الانتساب لعشيرته وقد درسنا الحالة في عشيرة البو علوان التي تسكن المدينة والريف فوجدنا أن هنالك فرقاً كبيراً في مثل هذه الحالة، وهذا يعود الى مدينة الرمادي في كثير من أقسامها بحسب التواجد العشائري فتعرف المنطقة الفلانية بان ساكنيها من العشيرة الفلانية فيقال منطقة الزيوت التي يسكنها البو علوان او يقال منطقة جميل المهنا شيخ العشيرة العمومي تاريخيا، وقد لمسنا خلال العمل الميداني في مدينة الفلوجة وبعض المناطق الحضرية في الرمادي سكانها منذ زمن بعيد في المدينة انهم قد هاجروا من الريف الى المدينة منذ أربعين سنة او اكثر بحيث أصبحوا حضرا في الملبس والمأكل وكثير من التصرفات وهم يرون في أنفسهم تميزا على الريفيين او العشائريين الذين يطلقون عليهم (سكنة العرب) الا ان حاجتهم الى عشيرتهم ليست حاجة فعلية بقدر ما كانت حاجة معنوية حين يحاولون إثبات نسبهم بانتسابهم الى تلك العشيرة ويرى احد الساكنين في المدينة (الفلوجة) هذه الحقيقة الا انهم وجدوا أنفسهم فعلا بحاجة ماسة الى عشيرتهم حينما اشتد العنف وتطاول بعض الأشخاص بقوة السلاح على إفرادها وبهذا فأنهم رجعوا الى عشيرتهم وكأنهم يسكنون الريف فعلا وقد اجمع الكثير من المبحوثين من العشائر التي تسكن الريف والحضر حاجتهم للعشيرة في أمرين عريضين أولهما: انهم بحاجة اليها حينما يتعرضون الى مشكلات ويحتاجون الى من يقف الى جانبهم من أقاربهم وعشائرهم فهم

يلجاوؤن اليها طلبا للمساندة او انهم يحتاجونها لحل مشكلاتهم عن طريق قيام شيخهم بالتفاوض مع الآخرين بشأن قضية احد أبنائهم ويكون قادرا على الحكم بين ابنائها داخليا (الفصل) او يكون طرفا قويا حينما يكون هناك طرف آخر من الخصم لحل القضية معتمدين على حكمة الشيخ وقوته طريقا لأخذ حقهم اما الأمر الثاني فهم بحاجة الى العشيرة لإثبات أنسابهم ورفع مكانتهم بين العشائر ويظهر مثل هذا الأمر في المدن اكثر منه في الريف لان أمر النسب محسوم ومعروف للجميع في الريف وكذلك ما يتصل بالمكانة الاجتماعيه٠

٤ - تغيرات في نظام الزواج:

لم تعد السنن والتقاليد في نظام الخطبة والزواج وشكل الاسرة كما كان عليه في الماضي فلم تعد الخطبة في أحيان كثيرة من واجب الاسرة وان كان حول هذه المسألة إشارات برزت إثناء الدراسة الميدانية حينما وجدنا ان بعض الشباب ما زال معتمداً على أهله في إيجاد الزوجة المناسبة لكن هذا يبدو من حيث الشكل فقط فقد وجدنا حالة من هذا النوع الا انه أشار الى العائلة التي سيتم الخطبة منها، في حين ان حالات كثيرة لم تعد تتبع الطريقة التقليدية في الزواج كما تم ملاحظة ذلك خلال العمل الميداني من آراء بعض الفتيات اللائي أتيحت الفرصة من التحدث معهن في المدينة اللائي أكدن على رفض الخطبة التقليدية ومع هذا فان هناك توجهات حقيقية نحو الانفتاح في هذا الجانب وحينما درسنا الحالة في الريف فقد وجدنا نوعا من الانفتاح في اخذ رأي الفتى والفتاة في أمر الزواج لكن هذا لا يعني انهم يسمحون بطريقة واسعة لكي يتزوج الشاب من الفتاة التي يختارها الا في نطاق ضيق وإذا علم ابو الفتاة فانه يقف موقف المهان لمثل هذا الزواج وقد درسنا حالة من هذا النوع حيث وجدنا ان شاباً متعلماً يرغب بالزواج من أقاربه الا انه يواجه معارضة شديدة من أبوها وإخوتها والحالة مستمرة منذ سنة، لاحظنا في الوقت نفسه ان هذا الشاب يجالس أخ الفتاة في الأوقات الاخرى ويتفاعلون بايجابية في مواقف مختلفة وهذا أمر مثير ففي الوقت الذي يقف ابو الفتاة ضد زواج ابنته من ذلك الشاب نجد الأخير يتعامل مع أخ تلك الفتاة بطريقة تلقائية ولاسيما ما يتصل منها بهذه المسألة حتى انه قال له مازحاً لماذا أبوك مازال معارضا؟ وقد مر هذا الكلام بسهولة وهو أمر يكاد يكون مرفوضا في ظل حياة العشيرة التقليدية بحسب رأي احد

الاخباريين الذي علق على الموضوع بالقول بان ليس الرأي في المعارضة هو الاب او هذا الأخ انما الأمر يتعلق بزوجة (فلان) أي ام الفتاة التي يصفها هذا الإخباري بأنها تتحكم بشؤون البيت، وبهذا المعنى فلم يعد الزواج الداخلي ساريا كما كان الحال في الماضي ولاسيما في المدينة بينما في الريف يتم مثل هذا الزواج بشكل مستمر كما ان مثل هذا الزواج يتم برضا الاهل وربما برضا الفتاة ولكن لم يعد قسريا كما كان سابقا، كما ان النهوة لم يعد لها وجود ولاسيما في المدينة اما في الريف فان وجودها نسبي وقليل جدا ومن خلال العمل الميداني اتضح ان التوجه الى تكوين عائلة جديدة من ابناء العمومة لم يعد يحظى باهتمام أسرة العشيرة الساكنة في المدينة بقدر وجود مثل هذا التوجه من أسرة العشيرة في الريف، والأخير قد شهد تغيرات في هذا الجانب وقد كان الدين عامل وعي ولاسيما لدى الشباب المتعلم المتدين الذي لا يرون هناك ضرورة ان يكون الزواج داخلي او من الاقارب باعتبار ان المعيار للزواج هو الإيمان والاستقامة، فقد احدث هذا شرخاً في تقاليد وسنن الزواج وقد لاحظنا ان ذلك وجد معارضة من قبل كبار السن الذين مازالوا يفضلون الزواج الداخلي، وفي هذا الجانب كان للظروف الاقتصادية والأزمات والحروب اثر في انتشار الزواج الخارجي لان هذه الحروب والأزمات قد استنزفت من شباب العشيرة الكثيرين ما خلق عدم توازن بين الذكور والإناث حيث أصبحت اعداد الفتيات في تزايد بينما اعداد الشباب في تناقص وهذا احد العوامل التي ساعدت في تجاوز الكثير من العادات والتقاليد المتحكمة في شكل الزواج، كما ان الاستقلال وتكوين أسرة نوويه تجاه يفضله كثير من الشباب في المدينة في حين يفضل ابناء العشيرة بالانضمام مع أهلهم ويعيشون في كنفهم الا ان هناك بعض الشباب منهم اخذ يعمل بطريقة يحاول تحقيق هذا الانفصال (بالتراضي) من خلال ما يطلق عليه بعضهم بالطرق (الدبلوماسية) حينما يتجه بعض الشباب المتعلم والذين يملكون مورداً اقتصادياً بناء بيت صغير ملاصق لبيت أبيه فيكون بحسب رأي أحدهم انه حقق ما يريد من استقلال وحقق تواصلاً مع الاهل ليل نهار بحسب ما يريدون، ولعل في هذا تحول جديد في تصرفات الشباب، الا ان النمط السائد في العشيرة في الريف هو الاسرة الممتدة والمركبة معاً والمقصود بالممتدة انها تضم ثلاثة أجيال وهم الأحفاد والآباء والأجداد والمقصود بالأسرة المركبة هي التي يكون فيها الاب قد تزوج اكثر من (امرأة) ومثل هذه الإشكال يضعف في المدينة الا

اننا لاحظنا ان هناك من الأسر التي يمكن ان نطلق عليه(أسرة ممتدة معدلة) وهي التي تسكن بالقرب من بيت الاهل او ان تقاسمها السكن ذات الطوابق المتعددة او بالبناء المتلاصق يكون التواصل مستمر في تحقيق قدر كبير من الاستقلال المنزلي الا ان التوجه العام لدى ابناء العشيرة هو في تحقيق مسكن مستمر بعيدا عن المشكلات وتحقيقاً للذات ومن جانب آخر فان المشكلات التي كانت تحصل بشأن الزواج في القبول من قبل العائلة تجاه عائلة اخرى لم يعد موجودا بشكل واضح، وأصبحت القضية توجيه اكثر ما هي تخص العشيرة وهو عكس مما كان موجودا قبل (٤٠) أو (٣٠) سنة بحسب رأي احد الاخباريين ما قلل ذلك من التوترات بين الأسر في العشيرة الواحدة ولاسيما ان المشكلات الجديدة للأسرة من معيشة وسكن وغيرها حلت محل مشكلات الاسرة التقليدية.

٥- التغير في المكانة الاجتماعية :

رافقت التحولات والتبادلات في سنن وتقاليد العشيرة، تغيرات اخرى تتصل بالمقاييس التي تقاس بها المكانة الاجتماعية داخل المجتمع العشائري وخارجه فبعد ان كانت المكانة تحسب بحسب النسب الاجتماعي الذي كان ينحدر منه الإفراد ولاسيما ما يتصل بالزعامات العشائرية القائمة على اساس المكانة المتولدة عن طريق الوراثة والتي لا احد يستطيع تجاوزها من ابناء العشيرة كما انها محط احترام وتقدير العشائر الاخرى فالرئاسة على اساس الوراثة أمر محسوم في بنية العشيرة التقليدية الا ان هذا الأمر قد تغير نسبيا ولدى كثير من العشائر في الوقت الحاضر ولاسيما تلك التي أصبحت متوطنة في المدينة او بالقرب منها، فلم يعد شيخ العشيرة التقليدية ولاسيما من شيوخ الفقراء ذات فعالية كبيرة في محيط العشيرة الا من جانب الامتيازات المعنوية والشكلية، وقد لاحظنا خلال العمل الميداني ان هذه الرئاسة قد خرجت من أسرة كما كانت تتعاقب فيما بينها الى اشخاص آخرين ذوي قربى لهم يتمتعون بمكانة اقتصادية وعلاقة مميزة مع السلطة وأصبحت المقاييس تقاس على اساس الاعتبار المادي، وعلاقات الوطيدة مع السلطة الحاكمة وقد برز هذا الانجاز عندما اصبحت الحياة الريفية تقترب من حياة المدينة وبعد ان زحفت كثير من الأنماط الحضرية الى الريف ولاسيما فيما يتعلق بالتكنولوجيا للبناء والملبس والمأكل وغيرها حين ارتفعت الدخول في الريف، بل ان الريفيين أنفسهم

ولاسيما الذين هاجروا الى المدينة قد تبدلت الكثير من عاداتهم وتقاليدهم وطرق حياتهم وقد حصل هذا في الوقت الذي يؤكد أولئك على قيمهم الريفية، الا ان حركة الواقع تؤكد عكس ذلك، اذ أصبحت حياة المدينة تؤثر فيهم وفي تقييمهم للأشخاص التي باتت تقاس بحسب البعد الاقتصادي اكثر مما تقاس على اساس الحسب والنسب، وهو أيضا مرتبط بظهور سنن جديدة لدى ابناء العشيرة فلم تعد الزراعة وتربية الحيوان هي المهنة التي يعرفها الريفي بل اصبح طبيبا وأستاذا جامعيا وتاجرا ومهندسا وعاملا فنياً ومحامياً ومحاسباً وغيرها، وقد أثرت هذه المتغيرات في المكانة الاجتماعية وعلى الرغم من الاعتراف بأهمية الحسب والنسب الا ان الامتياز المادي يبدو هو البارز بشكل واضح في تغير كثير من أنماط الحياة العشائرية سواء داخل المدينة ام الريف حتى ان الشيوخ أنفسهم قد اهتموا بهذا الجانب حينما شرعوا بان مكانتهم أصبحت مرتبطة بهذا الاعتبار ما ترتبت عليه علاقات مع السلطة في تعزيز ذلك والحصول على التقدير والاحترام ليس فقط في محيط العشيرة بل خارجها في المدينة من موظفي الدولة أيضا عندما يكون قادراً على تقديم الهدايا المناسبة.

المبحث الثاني

التغيرات السياسية (السلطة في العشيرة) في المرحلة الحالية

ينبغي التأكيد ان هناك تغيرات جوهرية قد حصلت في شكل ومضمون السلطة في العشيرة في الوقت الحاضر، فلم تعد أوامر شيخ العشيرة صارمة ونافذة كما كانت عليه في ظل بنية العشيرة التقليدية عندما كان عالم ابناء العشيرة هو عالم العشيرة نفسه، وفي هذا المجال سيتم التطرق الى طبيعة السلطة في العشيرة في محافظة الانبار والتغيرات التي طرأت عليها ومحاولة كهذه تعد مهمة لمعرفة تأثير العشيرة في توجيه وضبط سلوك ابنائها وهي المهمة التي لم يستطع كثير من شيوخ العشائر من تحقيقها في المحافظة في السيطرة على ابناء عشائرهم إبان فترة الاضطراب الأخير والصراع الحاصل وقد ظهر مثل هذا في المدن اكثر منه في الارياف، وقد أجريت الدراسة على بعض العشائر التي تسكن المدينة وقسمها الأخر يسكن الريف لمعرفة فعالية السلطة فيها.

١ - السلطة في العشيرة التقليدية

كان اغلب ابناء العشيرة في ظل النظام التقليدي يعيشون في منطقة واحدة ويشتركون باقتصاد واحد وقد يتعرضون الى تهديدات واحدة ويتميزون بانضمامهم الى تنظيم اجتماعي متماسك ومتضامن مرتبط بشخصية شيخ العشيرة الذي يعد رمز قيم وتقاليد وعادات العشيرة وعنوان شخصيتها الجماعية، فقد كانت السلطة تظهر جليا في هذا الشيخ وخلال الدراسة الميدانية والاستماع الى بعض الاخباريين في منطقة عشيرة الحلابسة في الكرمة كيف كانوا يتحدثون عن شخصية كان رمز فخذهم وهو الشيخ فرج العبد الحمد رئيس فخذ البو مشعل وكيف انهم يحفظون كلماته وحركاته وطريقة تعامله في تصريف شؤون العشيرة الداخلية والخارجية حتى الوقت الحاضر، وهذا يشير الى تأثير تلك الشخصية التي توفاها الله تعالى عام ١٩٦٠ وكيف انها بقيت في الذاكرة، وهي ذاكرة العشيرة حتى ان الجيل الجديد من كثره سيرة هذا الرجل بات معجبا به وفي الحقيقة ان لمعان هذه الشخصية آتية كونه كان يمثل شخصية العشيرة وقيمها اكثر ما كان يمثل نفسه ويشير احد الاخباريين الذين عايشوا هذا النموذج بانه كان ذكيا ومحنكا ضليعا بأصول وقوانين العشائر وشديد الاهتمام بشؤون عشيرته وقد نال الاحترام الذي ناله قلة من اقرأنه في تلك الفترة على الرغم من انه كان فقير الحال ولا يملك شيئا ومع هذا كانت أوامره نافذة على كل ابناء العشيرة وربما امتثل لها الآخرون من افخاذ العشيرة الاخرى فهو لم يكن يمثل الفخذ الذي ينتمي إليه انما كان يمثل العشيرة بكاملها، وعند تحليل المعلومات والبيانات عن السلطة في تلك الفترة اتضح ان تنفيذ الأوامر لم يكن يحصل بالقوة انما بالطاعة لها من دون نقاش لأنهم على ثقة تامة به، لاسيما وان حياة العشيرة كانت تعيش متضامنة متعاونة وكأنها عائلة واحدة ولم يكن هناك تمايز اقتصادي واضح، كما ان محدودية تحركهم جعلهم يعيشون حياة جماعية لاسيما وان الريف في تلك الفترة يعيش حياة عشائرية متضامنة وتماسكاً قرابياً شديداً، وبهذا فان شكل ومضمون السلطة يؤديان وظيفة واحدة ويصدق الحال نفسه أيضا عند مناقشة السلطة في عشيرة المحامدة والبو علوان والبو فهد والبو خليفة وغيرها اذ كانت تلك السلطة تأخذ مدياتها السياسية والاجتماعية بشكل متناغم ومتفق مع رمزية القيم الجماعية التي يعبر عنها من خلال رمزية شيخها الذي هو جزء من الجماعة وحريص عليها ومؤمن بها. وقد ذكر احد الاخباريين من عشيرة البو

علوان في مدينة الرمادي ان الشيخ جميل المهنا كان يمثل رمزية ثقافية لكل البو علوان وقد نال الاحترام والتقدير الكبيرين ليس لكونه ذات صفات شخصية انما كونه يمثل رمزية لكل إفراد عشيرته وهذا الأمر جعل السلطة التي يتمتع بها سلطة معترفاً بها تلقائيا وبهذا المعنى فان السلطة في العشيرة كانت تمارس ضمن قناعة المتلقين لها بصفتها تمثل رمز قوتهم السياسية ولا احد يستطيع ان يتجاوز الشيخ بشيء، وهذا يشير ان سلطة الشيخ بحد ذاته هي سلطة معنوية تجد صداها في نفوس ابناء العشيرة كبارا وصغارا كما ان هذا الشيخ يحظى بمكانة مميزة لدى الرجال والنساء معاً فهو حريص عليهم وعلى حياتهم ويمثل رمزا له وان السلطة انما هي رابط مهم يجعلهم متحدين ويعرفون حدودهم وتعاملاتهم ولا احد يقدر تجاوزها وان حصل تجاوز لا تعتبر تجاوز على سلطة الشيخ نفسه بل تجاوزاً على قوانين وسنن العشيرة نفسها وقد حصل هذا عندما كانت العشيرة أسرة واحدة وتعيش حياة بساطة ونشاطاً اقتصادياً زراعياً محدوداً.وخلصنا الى ان طبيعة العلاقة بين شيخ العشيرة وعشيرته في الماضي(العشيرة التقليدية) يمكن ان تظهر في التسلسل المراتبي الآتي: *

الطبقة الأولى: وهم أقرباء الشيخ وإفراد أسرته وأولاد عمومته والمستفيدون منه الأموال والاراضي والسلطة وهؤلاء يطيعونه طاعة عمياء وربما صلى بهم الجمعة في يوم الأربعاء.
الطبقة الثانية: عامة المنتسبين الى العشيرة وهؤلاء ربما يطيعون الشيخ ويسمعون أقواله (مراءً ظاهرا) لأجل ان يحميهم اذا ما حصلت لهم مشكلات.
الطبقة الثالثة: وهم خصائص الناس وهم العارفون والمتدينون -ان صح التعبير- فهؤلاء حالهم مع الله سبحانه وتعالى متمسكون بدينه وبسنة نبيه.
وبالجملة فانا وأنت نعرف في كل زمان ومكان ان كثيراً من الناس (على دين ملوكهم).

٢- تفكيك شخصية الشيخ اجتماعيا وانثروبولوجيا :
شخصية الشيخ في البنية العشائرية التقليدية كانت منصهرة ومتفاعلة مع العشيرة، فالقيم التي يحملها الشيخ قيم جمعية تعبر عن ضمير العشيرة شكلا ومضمونا فهو لم يكن يمتلك المال الكثير او يتميز بالتباهي او يرى نفسه سيدا عليهم الا بما

تمليه القيم الجماعية التي هي نفسها التي وضعته رمزا لها بتأثير الوراثة اولا والخصال الحميدة التي يتصف بها ثانيا، وبهذا كانت ظاهرة الشيخ التقليدي هي ظاهرة اجتماعية وليست ظاهرة شخصية، اذ لا يمكن لأحد من العشيرة ان يكون شيخا الا من خلال سلالة عائلية تتوارث فيها الرئاسة، ولهذا دلالات اجتماعية وثقافية واقتصادية في مضمونها التقليدي وهي الرمزية الجماعية التي يرمز لها بشيخ العشيرة اما في ظل التغيرات التي بدأت تظهر في المجتمع العشائري خلال الحقب القليلة الماضية فان رئيس الفخذ الذي جاء بالزعامة العشائرية الوراثية والذي لا ملكية له فهو ضعيف، فالرئاسة اما ان تكون بالضيف ام بالسيوف بحسب تعبيرهم محور زعامة الفخذ ورئاسته المروءة والضيافة والشجاعة فشيخ الفخذ الذي يسعى للحصول على المكانة او المنزلة العالية والسمعة الرفيعة بين أعضاء فخذه وأفخاذ العشيرة ورؤساء افخاذ العشائر الاخرى، يجب ان يكون شجاعا قويا ليتمكن من التغلب على خصومه فأعباؤه الاجتماعية في العشيرة تقدر الشجاع في الحرب وفي السلم، ففي الحرب يجب عليه ان يحمي ويغيث كل من يلجأ إليه سواء كان ضعيفا ام محتاجا ام دخيلا لذا نرى ان الرئاسة تحتضن الضيف وتمتاز بالشجاعة أقوى ممن يشتهر بالشجاعة ولا يشتهر بالكرم فالبخل عندهم دليل الجبن والضعف والقوي لا يبخل انه ينفق ما لديه على ضيوفه واللاجئين إليه. ان أهم الوسائل التي يستطيع الرجل ان ينال الرئاسة والسمعة في البداوة ، هوان يكون شجاعا وكريما، أي ان يكون نهابا وهابا، فهو يحصل على الغنائم عن طريق القوة والشجاعة ثم يحصل على الرئاسة والسمعة عن طريق الكرم والمروءة [٣٤] .ان المصدر الرئيس لرئاسة الفخذ، الزعامة العشائرية والنسب والأخلاق والشجاعة وضيافة الضيف وحماية الدخيل ودفاعه عن أعضاء فخذه او عشيرته وتبعا لهذه الصفات تتباين سمعة رؤساء الأفخاذ او شيوخ العشائر، كما تحصل تغيرات في الرئاسة العامة للعشيرة وبعد ان كان لها الأثر الفعال في حياة العشائر ، وفي هذه الايام زالت الرئاسة او صارت الى الزوال ، واضحي اتصال أبناء العشائر بالمؤسسات الحكومية أكثر من اتصالها بالرئاسة العشائرية عند حاجتهم لقضية ما، وما ذلك الا لإحلال الوحدات الإدارية محلها في إدارة شؤون المواطنين. وهذه تابعة لقوة الإدارة وتمكنها من السيطرة او العكس[٣٥] وبهذا فان الدور السياسي التقليدي في العشيرة لا تزال آثاره باقية لكن ليس بالطريقة التي كان فيها عندما كانت

العشيرة تعيش ببنيتها المحلية فهي اليوم ضمن الجو السياسي السائد في البلد فإما ان يكون معارضا وبهذا فان قوته تكون محدودة بسبب عدم امتلاكه آليات القوة والسيطرة على إفراد عشيرته وتوليهم وإما ان يكون مع السلطة فهو إذ يتحرك ليس بقوة إفراد عشيرته انما بقوة علاقته مع تلك السلطة وعلى العموم يمكن القول ان النظام في العشيرة في الوقت الحاضر لم يعد ذات تكوين بنيوي مترابط بيئيا وقرابيا وسياسيا واقتصاديا كما هو الحال في ظل العشيرة المستقلة عن السلطة وتعيش في الصحراء انما أصبحت هذه البنية مفككة وتحول الولاء نسبيا من ولاء قرابي ملزم الى ولاء قرابي رمزي تحكمه الظروف السائدة في المجتمع.

٣- التغيرات التي طرأت على السلطة اليوم

لقد رافق تفكك بنية العشيرة التقليدية، وهي البنية التي كان بها يتماسك ابناء العشيرة ويتلاحمون في بيئتهم المحلية وعنوان تعصبهم في أماكن تواجد إفرادها حينما يكونوا بعيدين عن بنية العشيرة وتفكك السلطة أيضا التي لم تعد فعالة وحقيقية بقدر ما تكون شكلية يتم الالتزام بها في بعض الأحيان للمجاملة او بصفته التعبير عن الالتزام بقيم العشيرة، تلك القيم التي أصابها كثير من الهوان في ظل التغيرات الاقتصادية والسياسية التي شهدها المجتمع العراقي بشكل عام وانعكاس ذلك على السلطة العشائرية في المناطق المحلية حينما انتشرت المدارس في كل مكان، وأصبح الجيل الذي يكمل تعليمه ينخرط بوظائف حكومية في المدينة وبعضهم الآخر قد انخرط بوظائف خدمية وغيرها، حتى ان كثيراً من ابناء العشيرة قد هاجروا الى المدن بعد تركهم الزراعة حينما كان المردود الاقتصادي الزراعي لا يؤدي وظائفه بشكل جيد ما أدى بهؤلاء الى طلب مصدر رزق آخر في المدن وقد شهدت المدينة العراقية بشكل عام والمدينة في محافظة الانبار حركة تحضر وأعمار منقطع النظير ولاسيما في مرحلة ثمانينات القرن الماضي وما تلاها، كما أدى الارتفاع النسبي لدخول الإفراد الى اختيار حياتهم على وفق تقديراتهم التي يرغبونها الأمر الذي عمل على تفكيك السلطة العشائرية فلم يعد لشيخ العشيرة صوت مسموع لتنفيذ أوامره فقد تركت تلك الأوامر في كثير من الأحيان في اخذ طريقها الى التنفيذ بحسب ظروف الشخص ودرجة التزامه بسنن وأعراف عشيرته، اذ كان لعامل الهجرة وانتشار ابناء العشيرة في مناطق متفرقة من المحافظة وبعضهم قد هاجر خارج حدودها

الجغرافية تأثير مباشر في تفكك النظام التقليدي وضعف الالتزام بسلطته المعهودة، فقد لعب العامل الاقتصادي دوره الواضح في هذا المجال، فضلا عن العوامل الثقافية ومنها الانفتاح الذي حصل في البلاد وتأثير الأجهزة الإعلامية كالمذياع والتلفاز والسينما والصحف فضلا عن انضمام كثير من ابناء العشائر في الأحزاب السياسية وجعلهم اكثر احتكاكا مع عامل الفكر والثقافة، وقد لعب التعليم في هذا المجال دوره الرائد، وقد ذكر احد الاخباريين عن شكل السلطة بالقول اصبح الانسان -سيد نفسه اليوم- لكن هذا الرأي على الرغم من تداوله لم يجد صدى او قبولاً لدى بعض الاخباريين الذين اعترفوا بتفكك السلطة الا ان النظام العشائري عندهم يبقى فاعلا وان احترام السلطة يعني احترام رمزية العشيرة أي سننها وشيخها.

٣- سلطة الشيخ اليوم

تظهر سلطة الشيخ اليوم في مواقف ومواضع معينة منها دوره في حل المشكلات التي تحصل داخل العشيرة، او حصول مشكلة لأحد إفرادها مع عشيرة اخرى عن طريق (الفصل) وفي هذا الإطار تبرز سلطة الشيخ في حل المشكلة باستخدام العرف العشائري الذي مازال يحظى باحترام الكثير من ابناء العشائر وفي هذا المجال يصدر الشيخ حكمه القضائي (العرفي) لكنه لا يمتلك آليات التنفيذ الا ما التزم به المتخاصمان وفقاً لاعراف العشيرة وبهذا المعنى فان سلطة الشيخ تعني سلطة رمزية تنال الاحترام على وفق احترام العرف الاجتماعي ولا تكون طاعة ملزمة او تفرض بالقوة على المتخاصمين في التنفيذ، وقد تداخلت في هذا الجانب كثير من المتغيرات والعوامل التي زادت في ضعف سلطة الشيخ اكثر عندما وضع كثير من الأشخاص أنفسهم في موقع الشيخ وادعائهم المشيخة وقدموا أنفسهم وهم يتصدرون المجالس في حل مشكلات تحصل هنا وهناك وقد حضرنا إحدى هذه الجلسات التي يحضرها أشخاص حديثو العهد بالمشيخة فلم نجد من صلة لما دار في الجلسة عن حضور لأعراف العشيرة الا من خلال نقل بعضها مقلدين للآخرين من دون ان تدفع تأثيرها في الحاضرين ولم يتمكن الشيخ ان يضع حلا لهذه المشكلة ما دعا الحاضرين من التعليق حول تغير المفاهيم وأصبح هناك شيوخ غير الشيوخ الذين نعرفهم، وهذا يؤثر بشكل واضح على تفكك شخصية الشيخ وتوغل بعض المتطفلين الذين لم

يجدوا من يردعهم في هذا المجال، وهو ما بدأ يؤثر على العشيرة ويدخلها في مشكلات كثيرة وقد ظهر هذا التأثير حينما فقد كثير من الشيوخ الأصليين وكذلك الجدد سلطتهم على شباب العشيرة من الانخراط بالعنف المسلح في مناطقهم ، والشيء الذي يمكن ان يقال هنا، شخصية الشيخ في هذا المجال لم تعد تمتلك الآليات العرفية ان في التعبير عن أعراف العشيرة كما كان الحال في الماضي.فضلا عن ذلك ظهر مصطلح جديد(شيخ التسعينات) .

-

شيخ العشيرة ... شيخ السلطة

أبرزت المقابلة التي أجريت آنفا (مع مؤرخ الأنساب السيد ثامر العنزي) ان الناس قد اعتادوا على الالتزام بالشيخ المورث ، وهو بمنزلة الرمز للعشيرة فكان من الطبيعي ان تكون له خصائص تختلف عن الشيوخ الذين عينتهم السلطة مع الأشارة الى ان اغلب الناس في الحقب القليلة الماضية صاروا لا يهتمون بالشيخ المورث اذا كان فقيرا او قليل المال ، وهذه هي حال الدنيا بذلك نجد ان الناس في هذا العصر قد غرتهم المظاهر وصاروا لا ينظرون الى تاريخ الشيخ وربما لا يسألون عن أبيه وأمه وإنما ينظرون الى هذه الهالة التي تحيط بهم من أموال وبنين وأملاك ويد طولى يتوصل بها الى ما يريد وربما اصبح شيخ العشيرة الحقيقي راعيا من رعاته او خادماً من جملة خدامه وهذه المسألة معلومة قديمة فحال الناس في كل زمن انما يتبعون من قويت شوكته وطالت يده وانك لتقرا في كتاب السر العزيز فتجد فيه عجائب قدرة الله تعالى في التصرف في الخلق فهذا قارون ما ان يمر على قومه حتى قالوا (إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ) (القصص: ٧٩) وفي سورة الكهف مثل آخر بين من يملك وبين من لا يملك. (أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) (الكهف: ٣٤)وهي كلها أمثال(شواهد) تحكي لنا صورا مما يخدع به من لا معرفة له فكذا الحال بالنسبة لنظرة الناس او الشباب تجاه شيوخ عشائرهم ان كانوا أصليين او كانوا غير ذلك.

اما بالنسبة لقوة الالتزام بالنسبة للشباب هل هي في الدين اكثر ام بقول الشيوخ اكثر فإننا نرى ان ذلك يتبع حالة الشخص فمنهم من يعمل بقوله تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ) (المجادلة:٢٢) ومنهم من يعمل عمل قوم

فرعون تجاه موسى عليه السلام (قَالُواْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) (الأعراف: ١١١-١١٢)

- الفروق بين سلطة الشيخ القديم والشيخ الجديد

الكلام على الفروق بين الشيخ القديم والشيخ الجديد يمكن ان نوجزه بحسب الآراء التي أوردها الباحث بشؤون العشائر خلال المقابلة أنفة الذكر ومقابلات مع الاخبارين من كبار السن في العشيرة ، وكالاتي:

١-قوة الشيخ القديم او نقول (الأصلي) كانت قوة نابعة من الأصول والجذور التي ينتمي اليها ومن ثم انتمائهم الى ذلك الشيخ وكان الناس (أيام كان الناس ناس والزمان زمان) يطيعون الشيخ لما يتمتع به من قوة الشخصية والالتزام بالمبادئ والقيم العربية الأصيلة وكان الناس ينقادون له ويتأثرون به بحالة من هذه المزايا وغيره٢-اما بالنسبة لتأثير الشيخ الجديد على العشيرة فهو تأثير ضعيف لا يرتقي الى ما ذكرناه في أعلاه، وذلك لان الناس يعرفون حقيقة الرئيس الجديد للعشيرة، ربما كان قائدا محنكاً او ممن يشرب الخمر او ممن لا يقرب إليه الا صاحب سلطان او ثري بلغ من الثراء شأناً.

٣-التمدن والحضارة والتطور العمراني والمدارس العلمية والجامعات والكليات التي صار أهل القرى يقصدونها في مشارق الأرض ومغاربها فانك تجد ان ابن القرية الفلانية او العشيرة الفلانية طبيب جراح خريج لندن والأخر خبير طائرات، والأخر مهندس عمراني فهذا جاء بشهادته من الولايات المتحدة الأمريكية وربما نسمع في هذه السنين او التي بعدها انهم وصلوا الى المريخ فمن أين يكون لشيخ العشيرة من تأثير مباشر على هؤلاء. فالشيخ الأصلي يبقى يفرض احترامه الاعتباري وان اختلف معه هؤلاء، . اما شيخ السلطة او الشيخ الجديد فهو مقلد للشيخ الأصلي محاولا إيجاد مكانة اجتماعية بين عشيرته لكنه لا يحظى بتلك المكانة التي يحظى بها الشيخ الأصلي مهما فعل..

٤- تظهر قوة الشيخ جلية في المرحلة الحالية، على إفراد عشيرته أيام الفتن والمحن فإذا ما اكثر القتل صار الكل يقولون نحن للعشيرة الفلانية وشيخنا فلان فإذا ما أمرهم بأمر أطاعوه وعملوا به تفاديا للبلاء او من الفتن والقتل فأنت تعرف من لا ينتسب الى العشيرة اولا يسمع من شيخ يكون فريسة سهلة ولقمة سائغة للقتلة أيام الفتن. فمن هنا قد يؤثر الشيخ في نفوس الناس أيام الفتن اكثر

من غيرها.اما شيخ السلطة او الجديد فان فرصته في الظهور بمثل تلك المواقف قد تكون سانحة الا انها تبقى في حدود علاقته بالسلطة او في حالة غياب او ضعف الشيخ الأصلي.

٤- تغيرات في اتجاهات الشباب نحو العشيرة:

لم يعد الشباب متحمسين للعشيرة ولاسيما في مرحلة الاستقرار على الرغم من ان العشيرة موجودة بثقلها الاجتماعي الا ان هناك من حاول التمرد على سننها وعاداتها وقد ظهر ذلك لدى الشباب المتعلم وخلال حقبة المد التنموي كما ذكر احد الاخباريين، والذي يرى ان هذا التحرر الذي أطلق عليه هذه التسمية لم يأت عن طريق الجهل بسنن العشيرة بقدر تأثيرهم بالنقلة الحضرية والتعليمية وبحياة المدينة في ظل تحول اجتماعي ثقافي كان يمر به العراق آنذاك، ليؤكد هذا الإخباري ان تغير الشباب اليوم لم يرتبط بمستوى التعليم والتحضر بقدر ما ينطلق من جهل بسنن العشيرة واتجاه الشباب الى الفردية لاسيما وان الحروب التي مر بها العراق قد جعلت الكثير من هؤلاء الشباب يفقدون آباءهم ما جعلهم ينشئون بالطريقة غير الطريقة التي كان يلقن بها الطفل في العشيرة باسماء أجداده وينمو في نفسه العصبية العشائرية تدريجيا فقد تغير الحال مع ضغط الحياة الاقتصادية ما جعل هؤلاء الشباب لا يعيرون اهتماما بتلك السنن الا ان الشيء المثير الذي لاحظناه خلال العمل الميداني ان كثيراً من هؤلاء الشباب يناصرون أقرباءهم ، وربما على أقرباء آخرين بطريقة فيها عصبيه(انصر أخاك ظالما او مظلوما) . وفي جانب اخر يوجد تغير في سلوك بعض الشباب، اذ لاحظنا في احتفال عرس بمنطقة الكرمة ان اخ العروس يغني ويرقص مع مجموعة من شباب العشيرة، وهذه ظاهرة لم تكن موجودة في سنن العشيرة التقليدية إذ كان يهرب اخو العروسة او أبوها الى مناطق بعيدة حينما يتم زفافها لكن الشيء المثير انه قد حصل من دون وجود انتقادات حقيقية واجتماعية وعند السؤال عن هذه الظاهرة ذكر كثيرون ضاحكون: اذهب وسأله وفي هذا الأمر إشارة الى ان هناك تغيراً قد حصل في اتجاهات الشباب تجاه عادات وتقاليد العشيرة وهي تغيرات لم تأت عن طريق الوعي الثقافي او القانوني انما جاءت في سياق تغير فهم الشباب الذي اصبح متأثرا بوسائل الاتصال المختلفة المتاحة في بيئته ليلا ونهارا وغياب التوجيه نحو تلك القيم بل أن الآباء لم يعد يسمعهم

احد بل انهم وصفوا بأنهم من العصر الحجري، وقد حصل هذا حينما أراد احد الآباء ان يوجه ولده فثار بوجهه وقال له انك تعيش(زمن اوعصر جدي) ، وهذه الحالة قد تكررت وشاهدنا خلال العمل الميداني بطرق مختلفة وحينما يتم الحديث عن هذا الموضوع يبرز إمامنا تأثير الثقافة المقبلة من وسائل الاتصال والنقال وغيرها في نفوس واتجاهات الشباب ما يضع الجيل الجديد امام ثقافة جديدة وحينما درست هذه الحالة في المدينة وجدنا ان هناك شرخا في هذا الجانب، فالثقافة التي يحملها الأبناء هي ثقافة فنية -ان صح التعبير- أي الولع بالأجهزة الالكترونية ولاسيما النقال والحاسوب وغيرها، الذي يمثل اهتماماً كثيراً من الشباب وهم يتجهون نحو الفردية حين يسعى الإباء الى توجيه أبنائهم على وفق القيم الاخلاقية والدينية وسمعنا كثيراً من الإباء يدعو أبناؤه نحو الدراسة في حين يكون جواب الأبناء بالمراوغة والهروب وكان الدراسة ثقلا عليهم ، وحينما التقينا بعض الشباب حول هذه الظاهرة اتضح ان هناك تباعداً بين المناهج المتبعة في المدارس وحقائق الشباب في عصر تدفق المعلومات المجانية عبر الانترنيت وغيرها، وبهذا فان ثقافة العولمة أثرت كثيرا في تغير اتجاهات الشباب نحو العشيرة وسننها الاجتماعية *وقد ظهر ذلك في إطار العلاقات الداخلية وفي الظروف الطبيعية وان الشيء اللافت للنظر اننا نجد شكلاً أخر من العلاقة حين تكون هناك مشاحنات او خلافات بين العشائر وحتى بين افخاذها (بدنانها) ، ويصل الأمر بين العوائل في الفخذ الواحد حينما يحصل تقاطع في المصالح وغيرها، اذ لاحظنا خلال الاختلاط مع اكثر عشائر الانبار ان شباب كل عشيرة يلتزم بعشيرته عندما تكون علاقاتها متوترة مع عشيرة اخرى، وينحاز لها انحيازا تاما ويفتخر بعشيرته كما يفتخر برئيسها ان كان قيد عين من قبل الدولة او ورث المشيخة عن آبائه، وما سمعنا او رأينا شابا انتقص من عشيرته او شتمها او نقد سننها حين تكون في موقف متوتر مع غيرها،(وهو عكس ما لاحظناها في الحياة الطبيعية للعشيرة ،اذ تكون بعض سننها موضع نقد او تواجه بعدم المبالاة) كما أكد احد الاخباريين ان الفخر بالعشيرة يظهر حينما يكون احد إفرادها من الشباب خارج حدودها الجغرافية ، تراه، اذا سوئل من أين أنت؟ أجاب قائلا إنا من عشيرة الفلانيين (على زين وشين).

الفصل الخامس
مناقشة ختامية وملخص لأهم النتائج والتوصيات

اولا- مناقشة ختامية

تعد دراسة بنية العشيرة والتغيرات التي طرأت عليها في محافظة الانبار من الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية المهمة، ولاسيما وان الحقبة التي تمر بها المحافظة أفرزت أوضاع اجتماعية وثقافية وسياسية جديدة كان للعشيرة دور محوري فيها لاشك ان البنية التقليدية للعشيرة قد أصابها التفكك والتصدع بعد التغيرات التي مر بها العراق خلال النصف الثاني من القرن العشرين وما شهده العراق من تغيرات ثقافية كانت الدولة هي المسيطرة والموجهة لتلك التغيرات، الا ان حضور العشيرة كان موجودا وفاعلا في الحياة الاجتماعية والثقافية باعتبارها تمثل انتماء اجتماعيا قرابيا بصفته نظاماً سياسياً واجتماعياً غير رسمي يتوغل في الثقافة العراقية فلا تزال العلاقات القرابية تشكل محوراً حيويا من الحياة الاجتماعية ولها امتدادات في النظم السياسية والدينية والاقتصادية فهي من الموجهات الأساسية للسلوك الإنساني في هذا المجتمع، وعلى الرغم من حركة التحضر التي شهدها العراق فقد بقي للعشيرة حضورها في نفوس الناس ويتعاملون مع سننها وعاداتها وفيها حتى في المناطق الحضرية، فطالما كان الحاكم السياسي من أصول ريفية وعشائرية وهو على طول الخط يحاول إظهار قيم العشيرة في سلوكه وتصرفاته وكذلك أعضاء حكومته الذين ينحدر قسم كبير منهم من أصول ريفية، اذا كانت ثقافة الصفوة السياسية او النخبة السياسية تؤثر في الشارع العراقي، وطالما الناس يقلدون تلك الصفوة في سلوكهم ومعاملاتهم فكانت العشيرة موجودة في سلوك الناس بطريقة او بأخرى وفي مواقعهم الرسمية وغير الرسمية في المجتمع. وقد برزت العشيرة بعد عام ٢٠٠٣ لتشكل المكان الآمن لأعضائها لصد رياح الفوضى، كما كانت محط اهتمام أبناء المدن ولاسيما بغداد في اللجوء الى المناطق العشائرية سواء عن طريق امتدادهم القرابي ام غير ذلك إثناء الفوضى العارمة فهو دليل آخر على حضور العشيرة في الثقافة العراقية، وقد بدأت تفرز حقبة الفوضى كثيراً من الاثار في المدينة العراقية، ولاسيما بغداد التي تعيش حالة (تريف) لم تسبق لها مثيل في تاريخها الحديث، وكذلك مدن الانبار وهي في الأصل مدن عشائرية -ان صح التعبير-

أضحى للعشيرة فيها دور سياسي مؤثر وهو ما تم ملاحظته إثناء العمل الميداني، اذ تبلور هذا الدور في ظل غياب السلطة ، ان الحاجة للعشيرة ظلت قائمة لكن ذلك يظهر في الأزمات التي تمر بها البلاد، الا ان ذلك لا يعني أبدا ان العشيرة بقيت محافظة على بنيتها التقليدية التي كانت سائدة قبل ثورة تموز عام ١٩٥٨، ثم حصلت تغيرات جوهرية ولاسيما بعد إلغاء قانون دعاوى العشائر في الفترة الأولى من عمر الدولة والاتجاه نحو بناء الدولة الحديثة القائمة على القانون وقد كان لقوة القانون في الدولة العراقية ابآن فترة الستينات والسبعينات والثمانينات دور أساسي في انحصار دور العشائر امام قوة الدولة والقضاء المدني، الا ان ظروف الدول إبان فترة التسعينيت إعاد للعشائر دورها من جديد لكن ليس كما كان تلقائيا في الماضي اذ أدى ضعف النظام السياسي آنذاك الى تقريب شيوخ العشائر واستحداث شيوخ جدد أطلق عليهم(شيوخ التسعينات) وهم ليس بالضرورة ان يكون سلالة الشيوخ الأصليين –ان صح التعبير - انما تم إعطاؤهم درجات من قبل السلطة مثل شيخ أ وشيخ ب، وهكذا، حيث تم استحداث دائرة وهيئة في رئاسة الجمهورية يقوم عليها احد المقربين من السلطة آنذاك واخذ يصنف الشيوخ وفقا لذلك،كما ان بنية العشيرة نفسها أصابها التفكك فكل فخذ او مجموعة من الأسر تسمي من داخلها شيخا كي يسجل في تلك الدائرة ويتقاضى منحاً مالية كبيرة في الوقت الذي كان المجتمع العراقي بشكل عام يعاني العوز والفقر جراء الحصار الاقتصادي كما ان اختيار ذلك الممثل او الشيخ الجديد كان يتم تحت المنافسة الشديدة بين الأقرباء بل ان بعضهم استخدم(الواسطة) للحصول على مرتبة شيخ(أ)او(ب)، كما ان الأقرباء أنفسهم الذين ينتمون الى فخذ او بدنة واحدة(وهي تتكون من خمسة أجيال او أجداد متسلسلين الى الجد الاول) اخذ هولاء ينقسمون على أنفسهم في سبيل الفوز بالمرتبة التي تمنحها الدولة للحصول على الهبات والتقدير الاجتماعي ، وهذا تفتت البنية التقليدية فضلا عن العوامل أعلاه، بينما نجد ان كثيراً من الشيوخ الأصليين او الذين لهم تاريخ في مشيخة العشير لاذوا بالصمت ، ازاء هذه التقسيمات التي بها ظهر اشخاص لم يكن لهم صلة المشيخة واخذ يطلق عليهم شيوخ، حتى أصبح عدد الشيوخ بالجملة دون ان يمتلك هؤلاء القوة الكاريزمية في قيادة العشيرة كما حظي بها الشيوخ إبان البنية التقليدية، كما أدى هذا التبعثر في السلطة او هذا التطفل ببعض الذين ظهروا فجأة نسابين ومروجين للأنساب من الشيوخ الجدد ،

يصنفون العشائر كما الحال- في منطقة الدراسة- الى أصول جديدة وسلخها من نسبها الأصلي تحت الجهل بالعشائر وأصولها التي كادت تنسى إبان التحولات الحضارية في العراق خلال فترة السبعينيت.
تبين من الدراسة الميدانية التنظيم لاجتماعي التقليدي في القبيلة من حيث التأثير يندرج تحت ثلاثة مستويات رئيسية، (أولها) شيخ العشيرة وهو شخصية من أسرة مشهودة لها بالحسب والنسب والقدرة على قيادة العشيرة في الظروف المختلفة، فهو يتميز بقوة معنوية عالية ويمثل رمزية كبيرة داخل التنظيم العشائري، و(ثانيها)، الحكيم ويطلق (العارفة) وهو يتميز بحلمه او صبره الطويل وصواب الرأي ويكون مطلعا اطلاعاً كاملاً بسنن العشائر بشكل عام ويحفظها ويعرف أصولها ويرجع إليه في الخلافات والمشكلات التي تحصل في داخل العشيرة وخارجها، ويكون له سمعة حسنة يقصده الناس من مختلف الأماكن كي يقضي بينهم ،ويكون حكمه محترماً، و(ثالثهما) أبناء العشيرة ويمكن ان يطلق عليهم رجال العشيرة او فرسان العشيرة وهم يتمتعون بالشجاعة والقوة الأزمة وقد يكون الواحد منهم أكثر قدرة وشجاعة من الشيخ نفسه في القتال او النزعات وهم يمثلون قوة العشيرة وهيبتها، وفي المرحلة الحالية حصل تغير في هذه البنية فلم تعد القبيلة او العشيرة على تلك الحالة من التماسك والتواجد الدائم في مناطقها اذ انصرف أبناء العشائر الى الوظائف في أماكن مختلفة من البلاد، كما لم تعد العشيرة تمثل تلك الشخصية القتالية التي تحضر في اللحظة،كما ان سلطة العشيرة لم تعد نافذة مثل ما كانت عليه في الماضي حينما كان يمارس الشيخ سلطته ونفوذه بشكل مباشر على إي فرد او أسرة ويكون برضى كامل من الفرد او الاسرة،فضلا عن تحول الاختصاص في فض النزعات من العارفة الى الشيخ مباشرة الذي اخذ يمارس دور قيادة العشيرة الاعتباري، كذلك في فض المشكلات، كما لم يعد بالإمكان السيطرة على رجال العشيرة بشكل كبير، كما كان الوضع في الماضي، وقد اتضح ذلك جليا في مناطق العشائر عندما انخرط بعضهم مع المجاميع الدينية المتطرفة إبان الفترة التي أعقبت ٢٠٠٣ من دون ان يستطيع شيخ العشيرة السيطرة عليهم بل سعى بعضهم للثورة عليه وقتله أو تهديده. وقد استطاع البحث التحقيق من صحة المقولات التي وضعت ضمن التوجه النظري ، كما تمكن البحث من الاتفاق مع النظرية الوظيفية فيما يتصل بالتغيرات التي حصلت في البنية القبلية التقليدية نتيجة متغيرات أثرت بشكل

مباشر بالنسق الاقتصادي الذي تغير بشكل كبير حينما تبدلت وظائفه وأصبح أبناء القبيلة بعد استقراهم واشتغالهم بالزراعة من تفتيت الملكية الجماعية لتظهر محلها الملكية العائلية لتتفتت هي الأخرى وتظهر الملكية الفردية ولاسيما مع الهجرة الواسعة الى المدن ، اذ عمل أبناؤها بالوظائف الحكومية والتجارة وفي نشاطات القطاع الخاص فضلا عن تغيرات جوهرية طالت المسكن والأثاث المنزلي واقتناء التقنية الحديثة في المجالات المختلفة لتدخل وسائل الاتصال الحديثة في المرحلة الحالية من نقال واتصال فضائي حتى أصبح المسكن الواحد تعلو سطحه العديد من الصحون الفضائية ليدل ذلك على الخصوصية الفردية وهو ما بات يؤشر على ظهور القيم الفردية بين أوساطها بشكل واضح ، كذلك حصلت تغيرات كبيرة في النسق السياسي ، اذ عصفت التبادلات والتغيرات التي حصلت في هذا الجانب بالسلطة التقليدية وظهرت محلها سلطة مصغرة يمثلها رب العائلة الممتدة تحت الملكية الجماعية للعائلة سواء للأرض ام لبعض المعامل الصناعية الصغيرة ام المتاجر التي كانت في اغلب الاحيان باسم الاب او الجد، وقد ساعد تفكك مثل هذه الملكيات التي تفكك سلطة الجد أيضا تحت ظروف الملكية الفردية للعائلة الصغيرة، ان حدوث تغيرات جوهرية في البنية الاقتصادية والبنية السياسية(سلطة الشيخ) أدت الى إرباك البناء الاجتماعي للقبيلة في أنساقه الأخرى فأصبحت القبيلة تنقسم الى عشائر كثيرة خارج خريطتها التقليدية اذ تحولت الأفخاذ او البدنات الى عشائر جديدة وتجزئة السلطة حتى داخل الفخذ الواحد وأصبح لثلاث عوائل شيخ خاص بها كما حصلت نزاعات كثيرة حول تلك الزعامات المحلية الجديدة، ويمكن فهم ذلك من خلال النظرية البنائية الوظيفية، وكالآتي :

أولاً : هزة عنيفة في النسق الاقتصادي أعقبتها تغيرات في النسق السياسي والأنساق الأخرى ، فعاشت القبيلة بشكل عام أزمة حقيقة لاسيما في ضياع ونسيان كثير من أصولها وأعرافها من قبل الجيل الجديد فيها، فضلاً عن الصراعات المحتدمة حول الزعامات بعد ان أصبحت السلطة تتدخل وتعين الشيوخ ما أدى الى تهميش وشبه تهميش للزعامات التقليدية التي نأى الكثير منها ان يكون تحت سلطة الحكومة،ولاسيما خلال حقبة التسعينات من القرن العشرين، ثم حصلت فيها هزات عنيفة، جراء العمليات العسكرية في مناطقها، بعد سنة ٢٠٠٣ ،ما أدى الى إرباك بنائها الاجتماعي.

ثانيا: استيعاب التغيرات: وفقا للمنظور الوظيفي يمتلك البناء الاجتماعي ميكازيمات تعمل على إعادة الاستقرار الى البناء بعد التغير العنيف الذي تعرض له، وقد شهدت المرحلة التي أعقبت سنة ٢٠٠٧، الى جملة من التطورات في المنطقة ولاسيما بعد الصراع المسلح العنيف التي عاشته المناطق العشائرية، ثم اخذ أبناء العشائر يستوعبون التغيرات الجارية، وهي مرحلة مهمة في إعادة تنظيمها الاجتماعي،
ثالثا: تحقيق التوازن: وهي المرحلة الحالية التي اخذت العشائر تعيد التوازن بين أنساقه المختلفة بعد سلسلة من الهزات والتغيرات وهي مرحلة مهمة للوصول الى حالة الاستقرار.
رابعاً: إعادة الاستقرار: وهي المرحلة التي تحاول العشائر الوصول اليها وبدأت ملامحها تظهر بعد الاستقرار النسبي في مناطقها والمتمثل في الجانب الأمني والاقتصادي وهي مرحلة بات العشائر على أعتابها ،وهي تحتاج الى وقت مناسب للوصول الى تحقيقها، بسبب عدم استقرار البلاد سياسيا وسط صراعات القوى السياسية فيما بينها.

ثانيا- أهم نتائج البحث والتوصيات:

أ-النتائج

١- تفكك البنية العشائرية التقليدية سواء على مستوى العلاقات القرابية ام الرئاسة العشائرية، إذ أصاب القرابة الكثير من الضعف لتبرز محلها المصالح والمطامع الشخصية الى جانب القرابة، كما ان الرئاسة العشائرية تفرعت وأصبحت تعيش أزمة سياسية حقيقية عندما أصبح الكثير من شيوخ العشائر او الأفخاذ من الأجيال الجديدة التي ظهرت إبان دعم السلطة السابقة لهم او من خلال استغلال الظروف الراهنة وصمت الكثير من الشيوخ التقليديين ازاء ما يجري.
٢- أدى كبر حجم العشيرة الى انقسامها الى عشائر عدة وأصبح لكل منها رئاسة خاصة بها بل ان هذه العشائر المنقسمة هي بدورها شهدت تخندق كثير من عوائلها المتكونة من ثلاثة أجيال ساعية الى إيجاد رئاسة خاصة بها حتى أصبح يطلق على احد أبنائها البارزين ماديا بالشيخ، بعدما كان

الشيخ يظهر على خمسة اظهر مكونة فخذا إما اليوم فبدأ الفخذ نفسه يفرز شخصيات جديدة يطلق على كل واحدة منها بالشيخ.

٣- ظهور جيل جديد في العشيرة يجهل الكثير من السنن العشائرية ولاسيما ما يتصل منها بحل النزاعات وأصول الاحوال الثقافية الأخرى، حتى تباينت الآراء حول تلك الأصول، وباتت التقاليد الصريحة مهشمة وسط اجتهادات الجيل الجديد.

٤- ظهر داخل العشيرة شباب متدين اخذ ينظر الى العلاقات العشائرية على ان فيها الكثير من الجاهلية حتى ان بعضاً منهم اخذ يهتم بالفلسفات الدينية وبالسلفية والصوفية، وهو يعيش ناقدا لنظم العشيرة.

٥- اثر الشباب المتعلم دينيا في حياة العشيرة وقد تأسس الكثير من المساجد التي يقودها هؤلاء حتى برزت ظاهرة جديدة وهي تدفق شباب العشيرة الى المسجد بكثرة وهي حالة تتناقض مع الحالة التي كانت سائدة في ظل البنية التقليدية للعشيرة إذ يكون التدين لكبار السن والدين بشكل عام فطري وداعم لقيم العشيرة وسننها.

٦- أثرت البنية الطبيعية لمحافظة الانبار بشكل كبير في تأليف البنية العشائرية إذ مالت الكثير من العشائر فيها الى التضامن والتكتل مستندة الى قيم جمعية تشبه العشيرة البدوية وذلك بتأثير الصحراء في هذه البنية ولاسيما بعض العشائر التي تعيش على الصحراء او على حافتها.

٧- أثرت البيئة الطبيعية أيضا ولاسيما ما يتصل بوجود نهر الفرات الى إيجاد مستوطنات ريفية أفرزت عشائر زراعية تعتمد على اقتصاد زراعي تصديري ما زاد من دخلها وجعلها تقيم مساكن حديثة مزودة بالتكنولوجيا المتطورة ما اثر ذلك في حياتها الاجتماعية والثقافية وساهم في تحولها من نمطها البدوي التقليدي الى نمط زراعي جديد.

٨- تبين من خلال العمل الميداني ان العشيرة بصفتها ظاهرة اجتماعية موجودة في تاريخ المجتمع العراقي حتى مع قيام الدولة فيه وتمتعها بقوة قانونية وسياسية ومادية، إذ كانت العلاقات العشائرية والثقافية دورها في مؤسسات الدولة المختلفة لاسيما وان كبار الدولة وقادتها كان معظمهم من أصول ريفية ما اثر ذلك في ثقافة المجتمع على ان ثقافة النخبة السياسية

لها تأثير كبير على التوجهات السلوكية في المجتمع كما ان هذه الثقافة كانت تتحكم بالسلوك الاجتماعي والرسمي في محافظة الانبار بطريقة قوية وواضحة.

٩- القيم العشائرية قيم متأصلة في ثقافة المجتمع في محافظة الانبار وظهر ذلك في سلوكهم اليومي وفي تنظيم مساكنهم وإكرام الضيوف والكلام عن العشيرة لا ينقطع في حديث الناس ويظهر ذلك أيضا في المدينة، التي هي ذات امتداد ثقافي متواصل مع الريف لاسيما في الفلوجة والرمادي.

١٠-تبين من الدراسة ان مصطلح الحمولة يطلق على بعض الأسر التي تتميز بمميزات تميزها عن غيرها من الأسر من حيث قدرتها على التحمل والصبر على الرغم من كل الظروف فهي تتحمل الضيوف في كل الأوقات او تتحمل المشكلات في كل الظروف وهي صامتة ولديها القدرة على التحمل، وهي ظاهرة اجتماعية تظهر بين العشائر وهي تختلف عن الفخذ والبيت لان الفخذ والبيت هو جزء من التكوين الهرمي للقبيلة تتكون من (عدة اظهر) خمسة اظهر على الغالب، أي جزء من البيئة العشائرية وجزء من نظامها.

١١-عاشت العشيرة في بعض مناطق محافظة الانبار على التهريب في اقتصادها ولاسيما في المناطق الحدودية حتى اكتسبت صفات مميزة من المغامرة ما جعل حياتها مرتبطة بذلك.

١٢-ظهر من خلال الدراسة الميدانية ان شخصية شيخ العشيرة اليوم يختلف عن شخصيته في البيئة التقليدية من حيث السلطة والتأثير في نفوس الإفراد، اذ أصبح شيخ العشيرة اليوم يمارس دورا سياسيا معتمدا على علاقاته بالسلطة وعلى ما يملك من مال، فالشيخ الذي لا يملك المال لا يحظى بالتأييد كثيراً.

١٣-أفرزت المرحلة خلال التسعينات وما بعد عام ٢٠٠٣ شيوخاً جدداً، ظهروا من خلال دورهم السياسي في المرحلة الماضية و دعم السلطة لهم لتحقيق أهداف سياسية ما ساهم ذلك في إنتاج العشيرة كي تتلاءم مع ظروف المرحلة وقد كان من نتائج إنتاج العشيرة إنتاج زعامات جديدة تجهل الكثير من سنن العشيرة وعاداتها وتقاليدها.

١٤-كان سعي الدولة لإعادة إنتاج العشيرة يحمل أهداف سياسية واضحة، ما جعل ذلك ينعكس بشكل مباشر على وظائفها الاجتماعية والسياسية في المجتمع، كذلك على سلوك أبنائها وعلاقتهم التي أصبحت تقوم على اساس المصالح والمنافع الشخصية، ولاسيما في مبايعة الإفراد الذين لهم علاقات قوية بالسلطة وممن يمتلكون أموالاً كبيرة لزعامة مجموعتهم القرابية او مشيخة العشيرة بكاملها دون الاهتمام بالأصول الأولى لعملية الاختيار.من حيث النسب او المكانة الاجتماعية التقليدية لمن هو أحق بها تاريخيا. ما زاد تفكك التنظيم الداخلي للعشيرة وتغيره.

١٥-أثرت التغيرات الثقافية في المجتمع العراقي عامة وفي محافظة الانبار خاصة لاسيما تلك الناجمة عن دخول البث الفضائي والهاتف النقال وغيرها في بروز القيم الفردية التي بدأت تزحف على القيم الجماعية وتفككها.

١٦-ظهور حالة من الازدواجية الاجتماعية بين القيم الفردية الناتجة عن التغير الثقافي والاقتصادي وبين مصالح العشيرة الجماعية ما جعل كثير من الإفراد يتخذ من العشيرة وسيلة لتحقيق منافع سياسية واقتصادية، التي أصبحت علاقاته بالعشيرة شكلية أكثر منها مفصلية.

١٧-على الرغم من التغير الذي طرأ على البنية التقليدية للقبيلة الا ان تقدير قيم الذكورة لا تزال متقدمة على قيم الأنوثة ومكانتها في المجتمع القبلي.

١٨-تبين من خلال الدراسة الميدانية، ان هناك تغيرات اجتماعية حصلت في نظام الزواج فلم يحدد الزواج الداخلي الشكل السائد في المجتمع العشائري اذ أدى انفتاح العشيرة على المدينة الى ظهور الزواج الداخلي، كما ان الوعي الديني اخذ يؤثر في نظام المواريث بعد أن أصبح للمرأة نصيب بشكل أكثر من السابق لكن اغلب هذا الاعتراف مازال شكليا ولاسيما في الريف.

ب - التوصيات:

١- ينبغي على الباحثين في الجامعات ومراكز الأبحاث المختصة وعلى طلبة الدراسات العليا في الجامعات العراقية المختلفة، اجراء دراسات اجتماعية والانثروبولوجية عن بنية القبلية والتغيرات التي طرأت عليها، في منا طق العراق الأخرى، لغرض اجراء المقارنة فيما بينها ، لمعرفة حجم التغير الذي حصل في النظام القبلي في العراق بالمرحلة الحالية، للإفادة منها في إي خطة تنموية مقبلة.

٢- على وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي ووزارة الزراعة والجهات المعنية، القيام بمسوح ميدانية واسعة على مناطق القبائل والعشائر في بيئاتها المختلفة،(الزراعية في مناطق السهول ، بيئتها في المناطق المائية كما في الاهوار ، بيئتها في المناطق الصحراوية والجبلية) ، لمعرفة طبيعة حياتها وفهم حاجاتها وتكوين قاعدة بيانات متكاملة عنها، تمكن الدولة في إقامة المشاريع التنموية الملائمة لكل بيئة.

٣- ضرورة تضافر الجهود الوطنية من خلال برنامج وطني، تشارك فيه المؤسسات الرسمية وغير رسمية بما فيها منظمات المجتمع المدني لإقامة الدولة المدنية (دولة القانون والمؤسسات) لبناء مجتمع جديد قائم على العدالة ، لتأخذ القبيلة ، بصفته مجتمعاً أهلياً، دورها الاجتماعي والثقافي في عملية البناء من خلال تحديث مناطقها، وخلق نوع من التوازن بين مناطقها والمناطق الحضرية، التي هي الأخرى بحاجة الى التنمية، لكي تندمج في تنمية بشرية متكاملة للنهوض بالبلاد، بعد فترة طويلة من ويلات الحروب المدمرة التي طالت البلاد بعرضها وطولها، والعمل بكل مسؤولية، للاستفادة من أسعار النفط المرتفعة في المرحلة الحالية في تحقيق ذلك.

المـراجـع والمـصـادر

اولا: المراجع:

١- القرآن الكريم
٢- مقدمة ابن خلدون

ثانيا: المصادر:

١-عباس العزاوي، عشائر العراق، المجلد الاول، دار المحبة ومكتبة الحضارات، بيروت، بلا تاريخ، ص ٢٧-٢٨.
٢- د. مصطفى شاكر سليم : الجبايش ، دراسة انثروبولوجية لقرية في اهوار العراق، أطروحة دكتوراه مقدمة الى جامعة لندن، ١٩٥٥، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٠، ص ١٢٨-١٢٩.
٣-المصدر نفسه، ص ٣٠-٣١.
٤-لمصدر نفسه، ص ٣١-٣٢.
٥-علاء الدين جاسم البياتي، البناء الاجتماعي والتغير في المجتمع الريفي، مؤسسة الأعلمي، بيروت ،ودار التربية، بغداد، ١٩٧٥، ص٨٧-٨٨.
٦-عباس العزاوي، المصدر السابق، ص٣٣.
٧-د. علاء الدين جاسم البياتي، البناء الاجتماعي والتغير في المجتمع الريفي، المصدر السابق، ص١٥٧-١٥٨.
٨-د. احمد أبو زيد، البناء الاجتماعي، ج٢، الأنساق المكتبة الجامعي الحديث، الإسكندرية، بلا تاريخ، ص ٢٧٤.
٩-ايفا نز برتشارد، الانثروبولوجيا الاجتماعية، ترجمة د. احمد أبو زيد، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٥٨، ص٥٨.
١٠-د. علاء الدين جاسم البياتي، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق، دار التربية، بغداد ١٩٧٥، ص١١٣.
١١-د. عمر فروج، تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون، دار الملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩، ص١٥٧.
١٢-د. قيس النوري: مدارس الانثروبولوجيا، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد ١٩٩١، ص١٩-٢٠
١٣- د. محمد علي محمد: أصول الاجتماع السياسي، سلسلة علم الاجتماع المعاصر (الكتاب الحادي والثلاثون)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٠، ص ١٢٤.
١٤-محمد جميل عباس، مصدر سابق، ص ١٦٨
١٥-د. سعد الصويان، على شبكة الانترنيت www.asharqulawsat.com.

١٦- د.علي الوردي: طبيعة المجتمع العراقي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٥ ، ص ١١٨-١١٩ .
١٧-د. علاء الدين جاسم البياتي، علم الاجتماع بين النظرية والتطبيق ، مصدر سابق، ص٢٧-٢٨.
١٨-د. محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة، ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٦، ١٩٩٤، ص٢٤-٢٥.
١٩-د.محمد عباس جميل الزوبعي، مشاريع الري والبزل في محافظة الانبار، رسالة ماجستير، مقدمة الى قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٤، ص١٠٣-١٠٤. (رسالة غير منشورة).
٢٠-المصدر نفسه، ص١٠٦.
٢١-د. إبراهيم شريف، الموقع الجغرافي للعراق وأثره في تاريخه العام حتى الفتح الإسلامي، ج١، مطبعة شفيق، بغداد، بلا تاريخ، ص ١١٦.
٢٢-محمد جميل عباس الزوبعي، مصدر سابق، ص١٠٧-١١٠.
٢٣-المصدر نفسه، ص١١٢.
٢٤-المصدر نفسه، ص١١٣.
٢٥-المصدر نفسه، ص١٢٨.
٢٦-علي حسين شلش، مناخ العراق، ترجمة السيد ولي وعبد الاله كسربل، جامعة البصرة، ١٩٨٨، ص٢٠.
٢٧-احمد عاصم الدباغ وآخرون، ترب محافظة الانبار، مؤسسة الانبار الحضارية، جامعة الانبار، ١٩٩٨، ص٩٢.
٢٨-جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، محافظة الانبار، النشرة الإحصائية السنوية الصادرة عام ٢٠٠٠، ص٥.
٢٩-محمد جميل عباس، مصدر سابق، ص ١٦٦-.١٦٨
٣٠- د.علاء الدين جاسم البياتي، البناء الاجتماعي والتغير في المجتمع الريفي، مصدر سابق، ص٣٣-٣٤.
٣١-محمد جميل عباس، مصدر نفسه، ص ١٦٨.
٣٢-عباس العزاوي، عشائر العراق، ج٢ و ج٤، المصدر السابق، ص٦٤-٧٢.
٣٣- المصدر نفسه، ص٣٢٢.
٣٤-د. علي الوردي، مصدر سابق، ص٣٩، ص٨٣.
٣٥-جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، مديرية إحصاء السكان، التعداد العام للسكان، عام ١٩٨٧، ص١٣.

الهـوامـش

* سيرد في البحث الحديث عن القبيلة وعن عشائرها، ويأتي الكلام على العشيرة التي هي (جزء من القبيلة) وقد يعني القبيلة بصفتها صورة مصغرة عنها ، نظرا لكثرة تداول مصطلح العشيرة في المجتمع العراقي أكثر من القبيلة، وهو في مجمله ما يجري في القبيلة من إحداث وتغيرات.
* كانت خطط التنمية، قد توقفت، إثناء الحرب العراقية (١٩٨٠- ١٩٨٨ وما بعدها) ولاسيما في سنة ١٩٨٢ ، وتحول مقدرات الدولة الى المجهود الحربي، وما جاء بعدها من خطط ،لا تعدو كونها محاولات إصلاحية ليس الا.
* لكل عشيرة نخوة مميزة وإذا تحالفت العشائر فيما بينها كانت لهم نخوة يشتركون فيها، أي في مصطلح يفهمونه ويكون بمنزلة رمز لهم تجتمع عصبيتهم حينما ينادى به (مثل اخو هدلة او اخو وضحه او مثل ذلك) ، ولاسيما في الملمات او الأزمات .
* يطلق على الفخذ في بعض البلاد العربية بالبدنة كما في الأردن على سبيل المثال .
* المعراج ، آية :١٣.
* الدراسة الميدانية: كل ما يرد فهذا الفصل معتمدا على الدراسة الميدانية مضافا اليها يعص المصادر عن البنية التقليدية للقبيلة.
* الدراسة الميدانية: كل ما يرد في هذا الفصل من بيانات قائمة على معطيات الدراسة الميدانية.
* مقابلة مع مؤرخ الأنساب السيد ثامر العنزي في مدينة الفلوجة ، في يومي ١٥-١٦-٥-٢٠٠٩.
* الدراسة الميدانية.